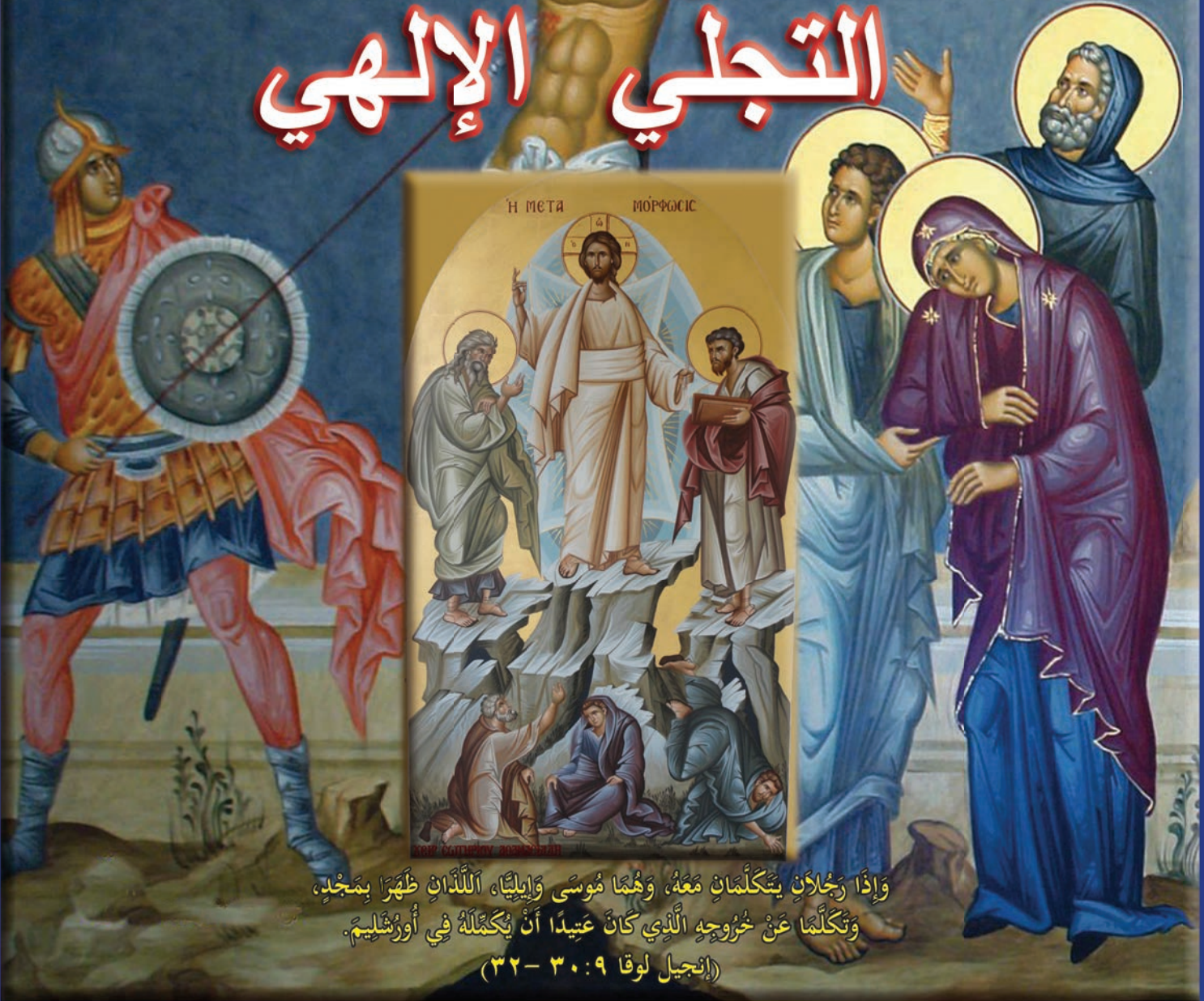


التجلي الإلهي



محتويات العدد

2 تَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ

3 كلمة غبطة البطريك
كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث

4 جبل تابور

6 تجلّي المسيح فوق ..
وصوت الآب عن محبة ..

8 الحياة الأبدية في قلب
الشهيد استفانوس

11 القديس نكتاريوس العجائبي

12 التجديف على الروح القدس هو
التجديف على الطبيعة الإلهية

15 جُزْنَا بالنار والماء
للقديس بايسوس الآثوسي

16 سرجيوس بولس

17 مبروك أيتها العروس
للقديس غريغوريوس اللاهوتي

18 القديسة والدة الاله

20 انواع الأفكار الرديئة وعلاجها
للقديس باسيلوس الكبير

21 الأرثوذكسية قانون إيمان ..

23 العظات الثماني عشرة
للقديس كيرلس الأورشليمي

24 الكنز والسيّاح

الغلاف
العهد القديم ... (٩١)
الاخير

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفرنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدمع نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح

تَعَالُوا إِلَيَّ يَا
جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ
وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ،
وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.
(مت ١١: ٢٨)

وَجْهًا
لَوَجْه



وَهَدَتْهَا بجاذب لطفه لا بتعذيب عنفه.
عندما نرى جيوش القديسين بشيابههم المخضبة
بدماء الاستشهاد.
عندما نشهد الفتائل المدخنة التي استحالت
منه إلى منائر مضيئة، والأعواد الموضوعة وقد
استحالت بلمسة منه إلى أعمدة في هيكل
البشرية.
عندما نرى الأشرار الذين عاشوا كأبالسة
الفُجور، وقد صاروا بقوة اللطيفة ابرارًا
كملائكة من نور.
نقول بملء الفم إذا لم يكن هذا هو الله فمن
هو الله؟
واذا لم يكن كلامه شريعة السماء فما هي
شريعة السماء؟

أخي القاريء

لا تقرأ الكتاب المقدس طلبًا لمعرفة أو لحجج
أو حلول بل طلبًا لوجه يسوع، والكتاب
المقدس نفسه كأنه يعلمنا ذلك إذ ينتهي بهذا
التضرّع والنداء: «تعال أيها الرب يسوع».

فليكن هذا النداء والتضرّع هو بداية قراءتك
لكلام الحياة كي تتقابل مع الرب وجهًا لوجه.
إنّ الكتاب المقدس مفتاحه منه وفيه، فعليك
أن تُصَلِّي إلى الله عند قراءته قائلاً: «أعطني يا
رب أن أكتشف قوّة كتابك».

حيثما وجدت

الكتاب المقدس مُهملاً

وجدت حياة جافة بلا ثمر.

وَعَظَّ أحد الخدام المشهورين في أحد المؤتمرات
بكنيسة كبيرة في بوسطن بأمريكا.

وبعد الاجتماع جاءه شاب يشكره على
العظة ولكنه قال له: (أنا ضدّ النظرية المعجزية
عن المسيح).

فطلب منه الواعظ أن يقرأ إنجيل يوحنا، وبعد
ذلك سوف يجاوبه عن سؤاله.

وعاد الشاب بعد عدّة أسابيع وقال للواعظ:
﴿لقد ظهر لي من خلال القراءة أنّي أكلم
المسيح والمسيح يُكلمني، لقد التقيتُ بالمسيح
وجهًا لوجه﴾.

سيظلّ الإنجيل يؤثّر بكلامه في حياة الناس
فوق هذه اليابسة، وسيظلّ يتكلّم ويؤذّب القلوب
حتى تنتهي الأرض وما عليها ومن عليها.

عزيزي

اقرأ الكتاب المقدس لكي تتقابل مع الرب
يسوع وجهًا لوجه. يول (القديس إيريناؤس):
﴿السيد المسيح هو الكنز المخفي في الحقل.
والحقل هو الأسفار المقدسة﴾.

إذا تقابلت مع المسيح بقراءتك لكلماته
المُحيية سيُسبِّحك بحبّه. فهو يتكلّم معك
«كمن له سلطان» (مت ٢٩: ٧).

هذا السلطان الفائق لكلمته بسطّه في قلوب
البشر من غير سيف ولا حِراب، بل بسيف
الروح وقوّة الكلمة.

لنرجع إلى التاريخ ونرى النفوس النبيلة التي
استأسرها لذاته بسلطان صليبه، لا بسنان
حرابه.

وعندما نتأمّل النفوس الساقطة التي أقامها من

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة اورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالثة

بمناسبة عيد تجلي ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح على جبل طابور



«إنّ الذي تكلم مع موسى على جبل سيناء قديماً برموز قائلاً: أنا الكائن أظهر في نفسه بتجليه اليوم على التلاميذ على جبل طابور جمال عنصر الصورة الأصلي متخذاً الجوهر البشري، واقام موسى وإيليا شاهدين لهذه النعمة العظيمة، فجعلهما يشتركان في السرور، وينبئان بخروجه مصلوباً وبالقيامة الخلاصية». هذا ما يتفوه به مرمم الكنيسة ،

أيها الأخوة الأحباء،

أيها الزوّار الأتقياء الحسنو العبادة ،

لقد استنارت المسكونة كلّها وتقدّست بنور المسيح إلهنا الذي جمعنا من كافة أقطار الأرض، في هذا الموضع والمكان المقدس، في جبل طابور ، لكي نحتفل بتجليه المقدس، أي بإشراق نور مجد ألوهية ربنا ومخلصنا يسوع المسيح لتلاميذه، بطرس ويعقوب ويوحنا .

إنّ حدث تجلي مخلصنا يسوع المسيح على جبل طابور يشكل المبدأ الرئيس الذي يتركز عليه آباء الكنيسة الملهمين من الله والذين أكدوا إيماننا الأرثوذكسي الخلاصي، وشدّدوا عليه بوضوح، وعلى هذا يشهد القديس الرسول بطرس والذي أضحي شاهد العيان لتجلي مخلصنا المسيح: «لأنّنا لم ننبع خرافات مُصنَّعة، إذ عَرَفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِحَيِّهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ الْآبِ كَرَامَةً وَبَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتُ كَهَذَا مِنَ الْمَجْدِ الْأَسْنَى: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرَرْتُ بِهِ، وَنَحْنُ سَمِعْنَا هَذَا الصَّوْتِ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ ثَابُورَ» (٢بط ١٦: ١٨).

نعيّد اليوم مبتهجين لأنّنا قد عرفنا من خلال الرسل والإنجيليين قُوَّةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِحَيِّهِ (٢بط ١: ١٦)، لهذا فإنّ كنيستنا وبلسان القديس يوحنا الدمشقي نقول:

{ «من هذا العيد والاحتفال؟ لمن هذا الفرح والبهجة؟ إنّه لكلّ الذين يسجدون بالروح والفكر أزيلاً للآب والابن والروح القدس، مُقَرِّينَ بأفواهمم بألوهية واحدة في ثلاثة أقانيم غير منفصلة، لأولئك الذين يعترفون ويُقَرُّون بأنّ المسيح ابن الله هو إله واحد في أقنوم واحد في طبيعتين دون اختلاطٍ أو امتزاج مع احتفاظ كل طبيعة بخاصيّتها.» } ويتابع أبونا القديس يوحنا الدمشقي قائلاً: { «لهذا حدّد المسيح هذه الأعياد لكي يكون لنا الفرح والبهجة في كل عيد، ولا يستطيع الآثون وغير الاتقياء أن يفرحوا.» }

حقاً أيّها الأحبة إنّ غير الأتقياء والذين لا يخشون الله لا يستطيعون أن يدركوا «أنّ الله نُورٌ» (١ يوح ١: ٥)، وأنّ هذا النور أي المسيح «جاء إلى العالم» (يو ٣: ١٩).

إنّ هذا النور أيّ المجد الإلهي قد أظهره المسيح لتلاميذه كما يُرثَم مرتل الكنيسة: «تَجَلَّيْتُ أَيُّهَا الْمَسِيحُ إِلَهُهُ عَلَى الْجَبَلِ، فَأَظْهَرْتَ بِجَدِّكَ لِلتَّلَامِيذِ عَلَى حَسَبِ مَا اسْتَطَاعُوا. فَأَشْرَقَ لَنَا أَيْضًا نَحْنُ الْخَطَاةُ نُورُكَ الْأَزَلِي، بِشَفَاعَةِ الْوَلَدَةِ إِلَهُهُ، يَا مَانِحَ النُّورِ الْمَجْدِ لَكَ».

وبمعنى آخر فإنّ المسيح قد تجلّى أمام تلاميذه لكي يُظهر لنا جمال العنصر الأصلي في نفسه مُتَّخِذًا الْجَوْهَرَ الْبَشَرِي، وهذا يعني أنّ **المسيح إله تام وإنسان تام** فقد أظهر لتلاميذه جمال العنصر الأول لألوهته غير المنظورة، والتي لا يُدنى منها، كما يقول مرمم الكنيسة: «إيّاك نسبح مع الآب والروح القدس يا كلمة الله الابن غير المستحيل. وصورة الكائن العلي المطابقة للاصل، وختمه الذي لا يتغير. وحكمته وساعده ويمناه وقوته.»

ويقول أيضًا: «لقد أظهرت جمال عنصرك الأصلي في جبلتك أيها المسيح الإله. يا من يديه غير المنظورتين جبل الإنسان على صورته، وذلك لا بصورة بل بنفس جوهرك كما أنت أيها الإله والإنسان». إن جمال هذا العنصر الأصلي، أي نور مجد المسيح الذي لا يُدنى منه، «الذي وهُوَ بهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِ الْآبِ» (عبر ١: ٣)، قد لمع أكثر من الشمس على جبل طابور وشمل الرسل القديسين والتحقوا به كما يقول المزمع: «لَمَّا شَمِلَ الرُّسُلَ عَلَى جَبَلِ طَابُورِ نُورِ مَجْدِكَ الَّذِي لَا يُدْنَى مِنْهُ أَيُّهَا الْمَسِيحُ. هَتَفُوا يَقُولُونَ: مَبَارُكَ أَنْتَ يَا إِلَهَ آبَائِنَا».

وبعبارة أخرى فإن الرسل قد صاروا «مُعَايِنِينَ عَظْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢ بطرس ١: ١٦). أي نور الألوهة غير المخلوق، في تلك اللحظات التي ظللتهم نعمة وموهبة الروح القدس وشملتهم، «فأخذتهم دهشة إلهية واستحالت حالهم»، وعلى هذا يقول القديس غريغوريوس بالاماس: «بأنَّ الرسل قد رأوا نور تجلي ربنا

ليس عن طريق وظيفة البصر الطبيعية، ولكن بقوة الروح القدس ويؤكد هذا مستشهدًا بما أورده الرسول بولس، والذي اقتبس من اقوال النبي إشعياء: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ فَأَعْلَنَهُ اللَّهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لِأَنَّ الرُّوحَ يَفْخَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقِ اللَّهِ. (١ كو ٢: ٩-١٠).

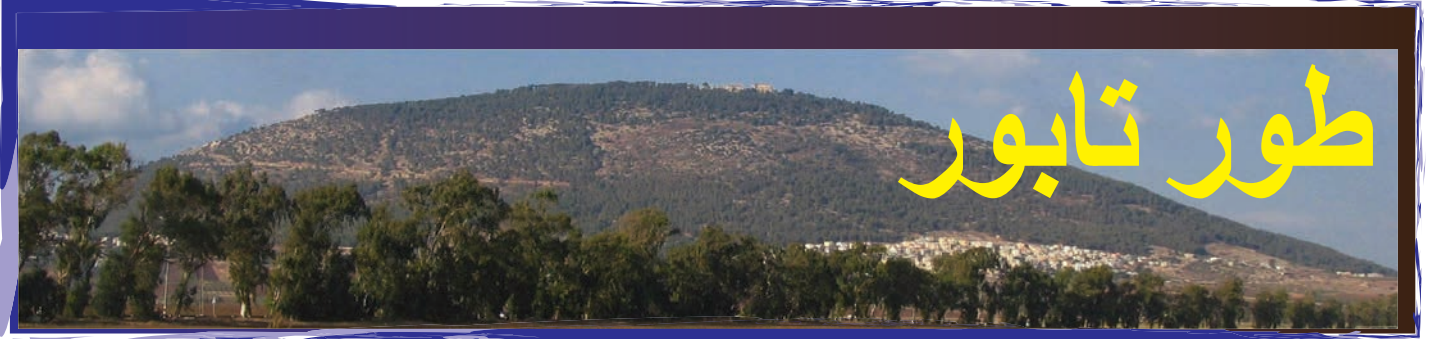
ختامًا نشكر ربنا وإلهنا يسوع المسيح، وهلموا بنا مع المزمع نقول: «إِنَّ مُوسَى قَدْ تَمَجَّدَ وَجْهَهُ قَدِيمًا بِالصَّوْتِ الْإِلَهِيِّ فِي الْغَمَامِ. أَمَّا الْمَسِيحُ فَقَدْ التَّحَفَ بِالنُّورِ كَرْدَاءٍ. فَإِنَّهُ الْمُبْدِعُ النُّورِ. فَيُنِيرُ الَّذِينَ يَرْتَمُونَ قَائِلِينَ: بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ أَعْمَالِ الرَّبِّ.» آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعية بالرب

البطريك ثيوفيلوس الثالث

بطريك المدينة المقدسة اورشليم



طور تابور: اسم الجبل الذي وصل إليه تخم «يساكر» (يش ١٩: ٢٢)، ويُحتمل انه الجبل الذي تنبأ موسى النبي عنه بأن زبولون ويساكر سيدعوان القبائل إليه (ث ١٩: ٣٣)، فبقوفهم على الحدود بين الأسباط، يمكنهم أن يدعوا أن لهم حقوقًا متساوية في المقدس على القمة. ويبدو من هذه النبوة أن الجبل كان مزارًا مقدسًا، وكان المتعبدون يُحْضِرُونَ معهم خيرات من "فيض البحار" و "ذخائر مطمورة في الرمل" مما كان يشكل مصدر ربح للسلطات المحلية. وجبل تابور هو نفسه "جبل الطور أو ثابور" في الاراضي المقدسة، وهو هضبة منعزلة ترتفع في أقصى الركن الشمالي الشرقي لسهل «اسدالون» (يزرعيل) على بعد نحو خمسة أميال إلى الغرب من الناصرة.

وقد احتفظ الجبل بصبغته المقدسة، ومازال مزارًا مقدسًا رغم تغير الدوافع، إذ على هذا الجبل تحتشد الجموع الآن من كل بلاد العالم احتفالاً بعيد التجلي.

وعلى قمة هذا الجبل ومنحدراته جمعت «دبورة وباراق» عشرة آلاف رجل للزحف لقتال «سيسرا» في السهل العظيم (قض ٤: ٦ و ١٢ و ١٤).

ويُحتمل أن "زيج" و "صلمناع" ملكي مديان، قد قَتَلَا إِخْوَةَ جدعون على هذا الجبل (قض ٨: ١٨). وإن كان البعض يعتقدون أن هذه المذبحة قد حدثت في الجنوب من ذلك حيث لا مبرر لوجود

إخوة جدعون في أقصى الشمال بعيدًا عن موطنهم في أبيعرز، ولكن - على أي حال - ليس من سبب لافتراض أن "عفرة" كانت في أقصى الجنوب، إذ يُحتمل أن الرجال قد أُخِذُوا أسرى إلى تابور.

ويرى يوسفوس أن جبل تابور كان ضمن المناطق الإدارية التابعة للملك سليمان (انظر ١ مل ٤: ١٧).

ولابد أن مثل هذا الموقع البارز المتميز كان مدعاة للتحصين دائمًا، فكانت به قلعة اسمها "أتابيريون" (Atabyrion) استولى عليها أنطيوخس الكبير في ٢١٨ ق.م. بخدعة حربية، ثم استعادها اليهود بقيادة يوحنا بن سمعان المكابي (١٠٥ - ٧٠ ق.م.). وبعد ذلك سقط هذا الموقع في أيدي الرومان بقيادة "بومبي". وعلى مقربة من هذا الجبل، ذاق الاسكندر بن أرتوبولس الثاني مرارة الهزيمة في ٥٣ ق.م. على يد "جابينوس" (Gabinus) والي سورية.

وعرف يوسفوس - الذي كان حاكمًا على الجليل عند نشوب الحرب اليهودية - أهمية هذا الموقع فبنى سورًا حول قمة الجبل. وبعد الكارثة التي حلت بجيوش اليهود في "يوتاباتا" (Jotapata) - حيث أُخِذَ يوسفوس نفسه أسيرًا - اتخذ الكثيرون من الهاربين، من الجبل ملجأ لهم. ولم يحاول "بلاسيدوس" (Placidus) القائد الروماني أن يهاجم القلعة، بل سعى بالحيلة حتى جذب المدافعين عنها إلى الوادي، حيث أمكنه هزيمتهم فاستسلمت بذلك له المدينة.

وهناك تقليد يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، يذكر أن «التجلي» قد حدث على هذا الجبل، والصبغة المقدسة للمكان أوفى دليل لذلك. ولقد شاهدت القرون الماضية تشييد سلسلة من الكنائس والأديرة على الجبل، وقد شيدت **القديسة هيلينة** كنيسة هناك على قمة الجبل، (القرن الرابع) حفاظاً للشواهد التاريخية المقدسة التي تنفرد بها بلادنا المقدسة، حيث شيدت العديد من الكنائس المقدسة للسبب نفسه. ومازالت **بطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية** تحافظ على هذه الوديعة. وبالقرب من ذلك المكان يقع الموضوع الذي يظنون أن فيه تقابل «ملكي صادق مع إبراهيم» بعد رجوعه من كسرة «كدرلعومر».

وقد عاصر الجبل كل الأحداث العاصفة التي زخر بها تاريخ البلاد ففي ١١١٣ م، نهّب عرب دمشق الأديرة وقتلوا الرهبان. وأغار عليه صلاح الدين الأيوبي في ١١٨٣ م ولكنه ارتد عنه، إلا أنه بعد ذلك بأربعة أعوام خرب المنطقة تمامًا بعد هزيمة الصليبيين في "حطين". ثم بعد نحو خمسة وعشرين عامًا، قام سيف الدين أبو بكر الأيوبي شقيق صلاح الدين بتحصينه، ففشل الصليبيون في استرداده في ١٢١٧ م. وفي ١٢٦٣ م، أمر "السلطان بيبرس" بهدم «كنيسة التجلي» وأصبح الجبل لفترة من الزمن مكانًا مهجورًا.

ولكن ظل رهبان "منطقة الناصرة" يحتفلون كل عام بعيد التجلي. وخلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أقامت الكنيسة الرومية الأرثوذكسية واللاتينية العديد من المنشآت، إلى جانب ما لهما من أديرة وكنائس ضخمة، كما كشفوا عن الكثير من أطلال مباني كنائس قديمة، تمثل خصائص كل العصور، بدءًا من أزمنة اليهود حتى يومنا هذا.

ويرتفع جبل تابور إلى نحو ٥٦٢ مترًا فوق مستوى سطح البحر مُكوّنًا بذلك أبرز معالم المنطقة. ويبدو الجبل للناظر من الجنوب بشكل نصف كرة، ومن الغرب بشكل مخروط. وتغطي الأدغال الكثيفة قمته المستديرة وجوانبه المنحدرة. وقد اختفت غابات البلوط منذ أواخر القرن التاسع عشر، إلا أنه مازالت هناك بضع أشجار متناثرة دليلاً على تلك الغابات القديمة.

ويتصل جبل تابور بمرتفعات الشمال بعنق خفيض، بينما يفصله عن "جبل الضحي" جنوبًا وادٍ خصيب يمتد حتى وادي البيرة ثم وادي الأردن.

ويمتد طريق متعرج على الجانب الشمالي الغربي منه يصل إلى قمته، يشرف الناظر على أبدع وأجمل المناظر الطبيعية الممتدة في كل جانب. ويواجه "جبل تابور" "جبل جلبوع" من الجنوب حيث تقع مدينتا "عين دور" و "ناين" على جانبه، و "شونم" على سفحه الغربي. وبعيداً عبر الوادي، يقع البصر على التلال الواقعة على الحدود الشمالية للسامرة مروراً "بتعناخ" و "مجدو" إلى "الكرمل" على البحر، وكذلك غابة البلوط الممتدة شمالاً من غور "قيشون". وإلى الشمالي الغربي من تابور وعلى بعد نحو خمسة أميال من أرض مرتفعة غير مستوية، يمكننا



رؤية البيوت العالية في "الناصرة" تلمع بلونها الأبيض الناصع في ضوء الشمس. ويقع وادي الأردن العميق إلى الشرق، يليه سور "جلعاد" والمُرتفع الصخري شرقي بحر الجليل، وهو مُرتفعٌ تتخلّله بعض الأودية الجبلية وجداول المياه، وخاصة الأخدود الكبير الذي يجري فيه نهر اليرموك. وتتجمع جبال "زبولون" و "نفتالي" مع الكتلة الضخمة اللامعة "لحرمون العظيم" لترتفع إلى عَنان السماء في الجهة الشمالية.

وأمام هذا المنظر الرائع، يدرك الإنسان كيف جمع المرنم بين جبلي حرمون وتابور في المزمور الثامن والثمانين: «الشمال والجنوب أنت خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان» (مز ٨٨: ١٢).

وقد أشار أرميا النبي إلى جبل طابور في القول: «رب الجنود اسمه كتابور بين الجبال» (أرميا ٤٦: ١٨). كما الملح هوشع إلى بعض العبادات الوثنية في القول: «إذ صرتم.. شبكة ميسوطة على تابور» (هو ٥: ١).

«لَأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.» (متى ٦: ٢١)

وَلِي مَسْئَلَةٌ بَعْدُ فَعَا جَلْنِي بِإِخْبَارِي

بَنَيْتَ الدَّارَ فِي دُنْيَاكَ أَمْ دُنْيَاكَ فِي الدَّارِ



تجلّي المسيح فوق جبل تابور وصوت الآب عن محبتّه لابن المتجسّد

منذ المعمودية الربّ يسوع بالماء في نهر الأردن، وحتى "معموديته" **بالدم على الصليب**، كان ينمو الإيمان لدى التلاميذ بطريقة متدرّجة، بحتمة حدوث واقعة في المستقبل لا نظير لها. هذا الإدراك الذي استنبطه كتبة الإنجيل، هو ما سَعَوْا إلى سرّده ليُجعلوا من تلك الواقعة المنتظرة حقيقة مستقبلية لدى قارئ الإنجيل، ليتهيأ لقبولها. وكانت حادثة **تجلّي المسيح فوق جبل تابور** هي لحظة استيضاح لتلك النهاية الآتية التي لم يتوقّعها التلاميذ.

تلك النهاية كانت هي **موت المسيح على الصليب**، والذي ختم به خدمته الأرضية. وكانت تلك النهاية غير المتوقّعة من جموع التلاميذ.

✠ اعتراف القديس بطرس الرسول:

✠ الاعتراف بأنّ هذا هو الملك «المسيح ابن الله الحي» **المسيّا المنتظر**: فقبل تجلّي المسيح، بلغت خدمته في الجليل إلى قمته. فالرب يسوع وتلاميذه كانوا قد بدأوا يكرزون في المنطقة المجاورة للحدود الشمالية الغربية لفلسطين. وخدمة الكرازة هذه التي بدأت في الجليل، كانت على وشك أن تتحوّل تجاه أورشليم.

وقد سعى الرب يسوع استعداداً للمراحل النهائية لجهاده على الأرض، أن يوضّح لأقرب تلاميذه إليه ما هو محور رسالته. ففي مدينة «قيصرية فيلّس» سألهم: «مَنْ تقولون إني أنا؟». وبادر بطرس بالإجابة بجرأة، بكلماتٍ صارت هي قلب أو محور الإيمان المسيحي: «أنت المسيح (المسيّا)» (مر ٨: ٢٩). وهو القلب الذي لم يكن يتردّد على فهم المسيح.

✠ وقد استقبل الربّ يسوع هذا التأكيد بقول هام، كان له تأثير كبير على تاريخ الكنيسة: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنّ لحماً ودماً لم يعلن لك، لكنّ أبي الذي في السّمّوات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السّمّوات، فكلّ ما

تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السّمّوات. وكلّ ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السّمّوات» (مت ١٦: ١٧-١٩).

✠ المسيح - المسيّا المتألّم:

حقاً كانت إجابة بطرس صحيحة، ولكن دون فهم كامل لما تتضمنته من تعبيراتٍ عن الآلام وانكار الذات. ويقول الإنجيل إنّ الربّ يسوع قال للتلاميذ حينذاك: «وابتداً يُعلّمهم أنّ ابن الإنسان ينبغي أن يتألّم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيّام يقوم» (مر ٨: ٣١؛ مت ١٦: ٢١؛ لو ٩: ١٨). ولكن اعتقاد الرّبيين اليهود المعاصرين للمسيح لم يتوقّعوا تألّم وموت «المسيح - المسيّا»؛ بل كانت توقعاتهم مُركّزة على المَلِكِ الآتي من نسل داود ليحكم، وليس ليُقتل! ولكن أصبح واضحاً لتلاميذ المسيح، تدريجياً، بأنّ «ابن الإنسان» سوف يُكمل رسالته من خلال آلامه وموته!

✠ وبالنسبة لتلاميذ المسيح، فيجب أن تكون علامة تلمذتهم للمسيّا - المسيح، هي أن يموتوا:

فالذين سيتبعون الربّ يسوع في خدمته لابدّ أن يكونوا على استعداد لأن يتبعوا خطواته وبذل ذواتهم من أجل الآخرين: «مَنْ أراد أن يأتي ورائي فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإنّ مَنْ أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومَنْ يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها». (مر ٨: ٣٤، ٣٥). فالرغبة في التألّم، وإذا لزم الأمر الموت، من أجل الحق الإلهي ومجيء المسيح الثاني؛ هو الشرط اللازم لتلمذتهم.

✠ الاستشهاد لا يجري وراءه المؤمن، ولا يهرب منه:

لابد أن تكون خطوة الاستشهاد التي اتخذها المؤمن صحيحة وتبدير صحيح. فقانون الاستشهاد يمنع الجري وراءه بالإرادة الشخصية ليناله، ولا بالارتداد عنه إن هو أتى علينا؛ «فالأول يظهر تهورًا، والآخر يدلُّ على الجبن» - القديس غريغوريوس اللاهوتي.

أما في مجيء المسيح لكي يذوق الموت، فلم يكن نوعًا من التلذذ بالاضطهاد *masochistic*، ولا هو هروب من الموت *craven*؛ بل كان كما قال الرب في إنجيل يوحنا: «جَسَدِي الَّذِي أُبَذِّلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يو ٦: ٥١). وهذا هو هدف التجسّد: «الموت من أجل حياة العالم».

✠ تجلّي المسيح: الصورة المُسَبِّقَة لتمجيده؟

جاء قرار المسيح بأن يُبَيَّن وجهه نحو أورشليم، مدفوعًا مُسَبِّقًا بِحَدَثٍ حاسم، هو سَبَقُ إعلان مجده: تجلّي المسيح أمام ثلاثة من تلاميذه المُقَرَّبِينَ: بطرس ويعقوب ويوحنا.

«التجلّي» *METAMORΦΩΣΙΣ ΤΟΥ ΣΩΤΗΡΟΣ* (ميتامورفوزيس تو سوتيروس) *METAMORPHO*، أو تغيّر شكل المسيح إلى بهاء سماوي أمام التلاميذ في حضور «موسى النبي» و «إيليا النبي»، وصوت الآب من السماء؛ يُؤكّد بنوّة المسيح لله (مت ١٧: ١-٨؛ مر ٩: ٢-٨؛ لو ٩: ٢٨-٣٦).

✠ «بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحْدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيَضَاءً جَدًّا كَالنَّجْلِ، لَا يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذَلِكَ. (قَصَّارٌ هُوَ مُبَيِّضُ الْأَقْمِشَةِ). وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلَنَصْنَعُ ثَلَاثَ مَظَالٍ، لَكَ وَاحِدَةً وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَلِإِيلِيَّا وَاحِدَةً. لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُتَعَبِينَ. وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَبِيرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ وَصَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. وَفَاجَأَهُ نَظَرُوا حَوْلَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا مَعَهُمْ إِلَّا يَسُوعَ وَحْدَهُ.» (مر ٩: ٢-٨).

أما القديس لوقا فقد أخبر بالتالي: «وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، ظَهَرَا فِي جَبَلٍ سَمَاوِيٍّ وَأَخَذَا يَتَحَدَّثَانِ عَنْ مَوْتِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَمَّمَهُ فِي أُورُشَلِيمَ.» (لو ٩: ٣١). لقد استُعْلِنَ شخصه المسيّاني (المسيحي) لِنُخْبَةٍ مِنَ الْحُضُورِ، وكذلك حتمية موته الآتي، وقيامته، حسب الأسفار الإلهية.

✠ بُنُوته الإلهية للآب، تأكّدت من الأعالي:

وكما حدث في معمودية الرب يسوع على يد يوحنا المعمدان؛ هكذا هنا في حادثة التجلّي أتى مرة أخرى نفس الصوت: «وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا» (مر ٩: ٧). إِنَّ عبارة: «هذا هو ابني»، هي تثبيت لهُوِيَّةِ

المسيح «ابن الله» الذي استُعْلِنَ «ابن الله» يوم معموديته، وها هو يتكرّر بتأكيدٍ في التجلّي، ما سيقوده نحو الصليب.

وبهذا التأكيد، ظهر واضحًا بأنّ التدبير النهائي لخلاص البشرية على وشك أن يتمّ، بموت المَسيّا - المسيح، من أجل حياة العالم.

✠ الإثبات التاريخي للتجلّي:

وإن دار نقاش حول حادثة التجلّي، فإنّ الرسالة الثانية للقديس بطرس الرسول قد أوردتها. فهذه الرسالة قد واجهت تلك الشكوك، وأثبتت حقيقة حدوث التجلّي:

«فَنَحْنُ، عِنْدَمَا أَخْبَرْنَاكُمْ بِقُدْرَةِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَبِعَوْدَتِهِ الْمَجِيدَةِ، لَمْ نَكُنْ نَنْقُلُ عَنْ أَسَاطِيرَ مُخْتَلَفَةٍ بِمَهَارَةٍ. وَإِنَّمَا، تَكَلَّمْنَا بِاعْتِبَارِنَا شُهَدَاءَ عَيَانٍ لِعَظَمَةِ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ قَدْ نَالَ مِنَ اللَّهِ الْآبِ كَرَامَةً وَبَجْدًا، إِذْ جَاءَهُ مِنَ الْمَجْدِ الْفَائِقِ صَوْتُ يَقُولُ: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ كُلَّ سُرُورٍ! وَنَحْنُ أَنْفُسُنَا قَدْ سَمِعْنَا هَذَا الصَّوْتَ الصَّادِرَ مِنَ السَّمَاءِ لَمَّا كُنَّا مَعَهُ عَلَى الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ.» (٢ بط ١: ١٦-١٨).

لقد تحدّث القديس بطرس كشاهد عيان، برؤيته هذا الحدث، ما جعله يؤكّد الدعوة المَسيّانية ليسوع.

✠ سَبَقُ تَذَوُّقٍ للمجد الأُسْنَى:

وقد سبق الرب يسوع قبل تجلّيه على الجبل أن قال لتلاميذه: «أَلْحَقْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ» (مت ١٦: ٢٨). وقد قال لهم هذا لِيَهَيِّئَهُمْ لِلآلامِ التي كانت على وشك الحدوث، كما قال القديس يوحنا الذهبي الفم.

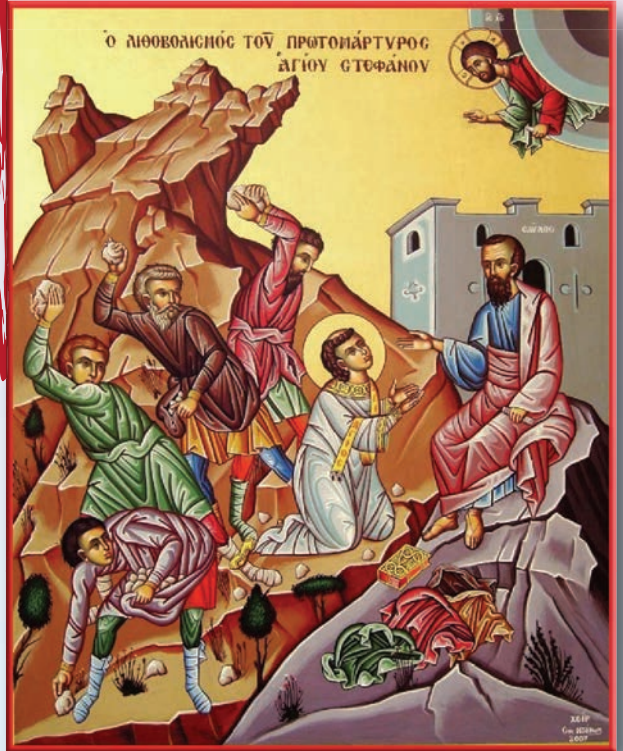
التجلّي كان سَبَقُ رُؤْيَا الملكوت والمسيح في هيئته الملكوتية. وعلى جبل التجلّي، كان هؤلاء الرسل المُقَرَّبُونَ على وشك رؤية وتذوُّقِ الدم والموت بسبب اضطهاد اليهود، وقد سمح لهم المسيح برؤية المجد الذي سيكون عليه في الملكوت الآتي، قبل أن يُقْبِلُوا على هذه الآلام والأحزان.

لذلك، كان مناسبًا جدًّا أن يُطْلِعَ المسيح التلاميذ على مجد جسده الحقيقي مُسْتَعْلِنًا، لهذا المجد الذي سيُحوَّلُ إليه خاصته الذين له.

✠ جبل الهلاك

هو أحد الأسماء التي أطلقت على جبل الزيتون بعد أن بنى عليه سليمان الملك المذابح للأصنام أرضاء لزوجاته الأجنبية، وقد هدمها الملك يوشيا بين ما هدمه، فنقرأ: «... المرتفعات التي قبالة أورشليم التي عن يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان لعشورث رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموابيين ولملكوم كراهة بني عمون، نجسها الملك» (٢ مل ٢٣: ١٣).

الحياة الأبدية في قلب الشهيد القديس استفانوس أول الشهداء



ذكرى الشهداء:

لم تعد ذكرى الشهداء أثرًا من آثار الماضي، ولا مجرد أحداث عبّرت وانتهت، لأن الحياة التي ضحّى بها الشهيد لأجل مخلصه وفاديه، هي قريبة منا جدًا، وحاضرة حضورًا حيًا على مدى الأيام والسنين.

وقد استطاع الرب أن يستخدم شهادة حُبهم لتدعيم البنية الداخلية والصرح الروحاني لنفوس المؤمنين. والسبب في ذلك، أن علاقة الشهداء بالمسيح كانت قائمة على خيرة حُب ثابتة له، وعلى حياة أبدية عاشوا حقيقتها وتذوّقوا عربونها؛ حتى إن اعترافهم بالإيمان العلي كان ثمره شهادة داخلية، عاشوها قبل أن ينطقوها بألسنتهم، خصوصًا بعدما أكلوا هنا سر الحياة (سر الإفخارستيا)، صارت الحياة ساكنة فيهم: «كما أرسلني الآب الحي، وأنا حيّ

بآلآب، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي.» (يو ٦: ٥٧)، الحياة التي لم يغلبها سجن ولا سيف ولا موت: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ حُبِّهِ الْمَسِيح؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟» (رو ٨: ٣٥).

وإذ سَرت فيهم قوّة موت الربّ وقيامته، كان هذا السّرّان كافيًا بأن يُبطل عنهم جاذبية الأرض وسلطانها؛ فتنقّت ميولهم من أباطيل العالم الكاذبة، وصار في مقدورهم الشُّخص الدائم نحو السماويّات، والتحرُّك القلبي المستمر تجاه المدينة التي لها الأساسات، دون التفاتٍ إلى خلف أو نظّر إلى الوراء ولسان حالهم يقول: «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ» (في ٢٠: ٣).

إن هذه السيرة السماوية قد ولّدت عندهم رؤية جديدة للأبديات، واستيعابًا جديدًا للأمور الروحانية، وبذلك جاءت شهادتهم تحقيقًا لغاية الخلاص، وعربونًا لاستعلان ملكوت الله في قلوب الناس: «هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١).

ومن خلال خبرة الحياة الداخلية أصبح غير الممكن لدى الإنسان الطبيعي، ممكنًا لهم. ونتيجةً لتحقيقهم من صدق المكتوب استطاعوا أن يستعلنوا الحياة الأخرى، الحياة الأبدية، في بُعدها الجديد؛ مستوعبين سرّها، ومتلاحمين مع عمق الحقيقة الأبدية الكائنة فيهم، وواثقين أنهم سيجيئون مع المسيح إلى الأبد: «لَكِنَّا سَنَحْيَا مَعَهُ بِقُوَّةِ اللَّهِ» (٢ كو ١٣: ٤).

هذا الأمر قد ولّد فيهم إلحاحًا متواصلًا في الداخل لاقتحام حدود الأبديات، والإصرار على عدم الرجوع عن الشهادة لسيدهم، حتى لو توفّرت أمامهم فرص النجاة: «وَلَمْ يَقْبَلُوا النِّجَاةَ لِكَي يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ.» (عب ١١: ٣٥).

لذلك صارت تلك الحياة الأبدية التي سكنت فيهم حيّة أمام الآخرين بشهادتهم، إذ تَكشّف بواسطتهم سرّ الحياة الخفي وراء الألم والموت، وبقيت شهادتهم محفوظة في ذاكرة الكنيسة، لضمان استمرار قوة الشهادة للمسيح على مرّ الزّمان.

المسيح في القلب:

النطق بالشهادة عند الشهداء، وهم يُعانون أقصى الآلام، برهن على العنصر الإلهي للحياة التي فيهم، كعطاءٍ موهوب لهم من فوق؛ دليل واقعية الوحدة السّرّيّة التي تمت بين المسيح وأولاده، ودليل انسياب حياته الإلهية في كل المؤمنين باسمه، الحافظين وصاياه.

وبعدما سَرى فيهم سرّ حياة مخلصهم، فَضَّلُوا ربح المسيح على كل ما في العالم. ولذلك لم يحاولوا تطويع الواقع أو التكيف مع الظروف؛ بل اعتبروا أن كل ما يخص هذه الحياة المنظورة، ليس إلا قشورًا سرعان ما تسقط وتنتهي مع الزمن، وأنّ أفرح ما في الحياة هو حثالة ونفاية: «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ

الأشياء، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (في ٨:٣).

وبحلول المسيح فيهم، صار وعيهم الروحاني مفتوحاً على غير المنظور، أي انفتح كيانهم الداخلي على الوطن الموعود، فتطَّلَعُوا إليه باشتياق وحنين زائد، حتى صار انجذابهم لذلك الوطن السماوي حينئذ متأصلاً فيهم: «فَتَشَقُّ وَتُسَرُّ بِالْأَوَّلَى أَنْ تَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَتَسْتَوِطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ.» (٢ كو ٥:٨).

إذن، فهم لم يكونوا مجرد حاملين بوعود خيالية غير ممكنة التحقيق، ولكن رؤيتهم كانت صادقة، وكانت لديهم نظرة واقعية لحقيقة الوعود الأمانة التي وعد بها الربُّ الأمينُ الصادقُ كلَّ تابعيه الشاهدين له والمتألمين لأجله: «لَا تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ.... كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْمِيلَ الْحَيَاةِ.» (رؤ ٢:١٠).

وبما أن المسيح هو النور الحقيقي، فقد صار حلوله في قلوب أتباعه نوراً إلهياً، فتح بصرهم الروحاني على حقيقة سُكْنَى الملكوت في القلب، وعَرَفَهم حقيقة مكائهم القريب من قلب الله، رغم سماحه لهم بأن يجتازوا أهوال الموت، وكل ألوان العذاب، حتى وعوا - وهم في معمرة آلامهم - أنَّ هذه الآلام لم تكن تَرْكَاً من الربِّ لهم، أو تحليلاً منه عنهم؛ ولكنها شركة فعلية في آلام الفادي، وحمل الصليب عملياً وراءه كبرهان عملي على صدق تلمذتهم له، وتبعتهم للإله المصلوب: « جِينِئِدْ قَالَ يَسُوعُ لَتَلَامِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيَتْرَكْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي» (مت ١٦:٢٤).

ومع أن أجسادهم صارت عُرضَةً لهجمات شَرِّسَةٍ من أعداء الخلاص، إلَّا أنَّ عيولهم الداخلية التي استنارت بنور الله، كانت مفتوحة على السماء وأجسادها، أي صارت بصيرتهم نافذة إلى ما وراء الحجاب، تنظر وترى ما لا يُنظر ولا يُرى: «وَأَمَّا هُوَ (استفانوس) فَشَخَّصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُتَمَلِّئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللَّهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ.» (أع ٧:٥٥).

والحقيقة أن الآلام هنا، صارت فرصة انفتاح للوعي الداخلي على الأخريات، وفرصة اختبار لصدق وعد المسيح بوجوده معنا، وتقديم المعونة وقت الحاجة، وأيضاً سبباً مباشراً لاستعلان حنان الأبوَّة النابع من قلب الآب، تجاه أولاده المكتوبين في سِفْرِ حياة الخروف: «الآبُ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ، لِأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي» (يو ١٦:٢٧).

الكنز الخفي:

يتبيَّن لنا بما تقدَّم أن الشهداء قد عثروا على الكنز الخفي في حقل الخلاص، ألا وهو شخص المسيح الساكن في قلوب محبيه، فصار لهم المسيح ينبوع والمصدر الذي استمدوا منه القوَّة والعون، واكتشفوا فيه الباب المؤدِّي إلى الملكوت، والحق الأبدي الموصِّل للحياة، والطريق إلى حضن الآب، والحياة التي بدونها لا تُحسب حياة: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.» (يو ١٤:٦).



هامة القديس استفانوس الموقرة

في دير قاتويدي في جبل آثوس في اليونان

وعلى ذلك فإن الشهادة الحسنة التي قدَّمها الشهداء أمام الأباطرة والولاة والقضاة، لم تأت من فراغ؛ بل كانت ثمرة العلاقة التي كوَّنها مع المسيح طيلة الحياة، بثباتهم فيه وثباته فيهم. وكان هذا الثبات هو أكبر مُؤَمِّن لوصول القوة الفعَّالة في حينها، حيث قامت تلك القوة بعملها في التشديد والتدعيم الداخلي لإكمال الشهادة؛ وقد غمرهم المسيح بقوَّته السَّريَّة، غارساً فيهم إحساس النصر على الموت، وفتح الروح المحال أمامهم واسعاً لاستيعاب حقيقة الأبدية الكامنة وراء الحياة الأرضية، فاستطاعوا أن يتجاوزوا الزمان بكل ضيقاته وآلامه وعذابات وإماتاته: «لِي الْحَيَاةُ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِنَح.» (في ١:٢١).

إذن، لم تكن صلابتهم من باب الاستسلام لقوة خفية مجهولة المصدر؛ بل كان عندهم شعور يقيني أن هذا هو سرُّ الحياة الأبدية، وعمل الروح القدس، وقوة يسوع فيهم ومعيتهم لهم، إتماماً لقوله الصادق: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨:٢٠). هذه هي نعمة الله التي تحقِّق منها الرسول بولس، فقال: «لَا أَنَا، بَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَعِي.» (١ كو ١٥:١٠)، «... الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّة.» (كو ١:٢٩).

وهنا يمكن القول إنَّ بذرة الحياة التي كانت مطوية في أعماق قلوبهم، وهي تنمو يوماً بعد يوم، ظهرت ثمرتها الناضجة عند تقديمهم الشهادة الحسنة، وإصرارهم عليها ورفضهم أية تنازلات للتخلي عن إيمانهم المتين. ولَمَّا كان الروح يُغْدِي الحنين والشوق

للمعبور إلى غير المنظور، فقد كشف عن أصله السماوي المخبوء فيهم: «لَسْتُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحٌ أَبِيكُمْ» (مت ١٠: ٢٠).

وبذلك قد اختبروا فعلاً قيمة الولادة من فوق، وعِظَم أهمية الإيمان بالوعود، والرجاء بغير المنظور، فاحتازوا عتبة المنظور إلى غير المنظور، وتجاوزوا الزمن الأرضي الميت، فعبروا منه إلى الخلود واللازم. وتحولت أنظارهم من الترابيات إلى السماويات، وبرهنوا بالفعل أنهم ليسوا من هذا العالم: «... الْعَالَمُ أَبْنَضُهُمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ» (يو ١٧: ١٤).

والعجيب في الأمر، أنه بقدر ما كان رئيس هذا العالم يجمع قواته ويحشد لها للتكليف باتباع المسيح، ومُلاشاة اسمه؛ بقدر ما كان المسيح حاضراً هو وقدَّيسوه وملائكته، وقت الشهادة مع أولاده المتألمين، لِيَقْوِيَهُمْ ويشددهم وَيُجَبِّرُ كسورهم وَيُضَمِّدُ جروحَهُمْ.

وبقدر ما كان الشهيد يُشارك المسيح آلامه؛ بقدر ما كان المسيح يستعلن مجده، وحياته الأبدية في قلب الشهيد، حتى قبل أن يخرج الشهيد من هذا الجسد. وكثير من الشهداء قد انفتحت عيونهم ورأوا مجد المسيح جهاًراً كما حدث مع رئيس الشمامسة استفانوس: «فَقَالَ (استفانوس): «هَآ أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنُ الْإِنْسَانِ قَائِمًا (في مجد) عَنْ يَمِينِ اللَّهِ»» (أع ٧: ٥٦).

وقد استخدم الروح سيرتهم وشهادتهم لتوصيل نبض الحياة الجديدة للعالم اللاهي عن سِرِّ الحياة الأبدية. وهذا هو العجب في عمل الروح نفسه، بالنسبة لخلاص وتجديد العالم؛ إذ استطاع بقوته الفائقة أن ينقل الحياة إلى كثيرين، كانت رؤيتهم للشَّهيد وهو يُسْفَكَ دمه على الأرض السبب المباشر، في قبول سِرِّ الحياة الأبدية الجديدة.

وهكذا صارت أسماء الشهداء وسيرتهم علامات منيرة بارزة على الطريق لهداية الضالين، وقصص استشهادهم عبراً طيباً يُعْشَقُ صدور أولاد الله المضنوكين، بالضيق والآلام في هذا الزمان القصير، وشجاعتهم صارت حافزاً للنفوس التي خمدت هممتها حتى تقوم وتباشر المسير، ودماؤهم المسفوكة أصبحت شهادة حياة

لاستنهاض هَمِّ الرافدين حتى يستفيقوا من نومهم الطويل، وحبهم للمسيح أضحت بوقاً سماوياً لتبكي القلوب والضمائر التي أحبت هذا العالم، واستولت عليها ظلمة الأباطيل، وشفاعتهم أمام الله قوّة من فوق لتشدّد نفوس العاثرين.

وأخيراً يمكننا أن نقول:

هذه هي الحياة الأبدية التي سكنت قلب الشَّهيد، فدعّمت حياته بطاقة جديدة ليست من هذا العالم، وغدّت النزعة الباطنية نحو التطلّع إلى شركة ميراث القديسين في النور، وأقنعت الشَّهيد أن الموت الذي سيجوزه، هو الطريق المأمون المؤدّي إلى بلد الظافرين للفوز بإكليل المجد المحفوظ للغالبين والذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل (انظر ١ بط ١: ٤).

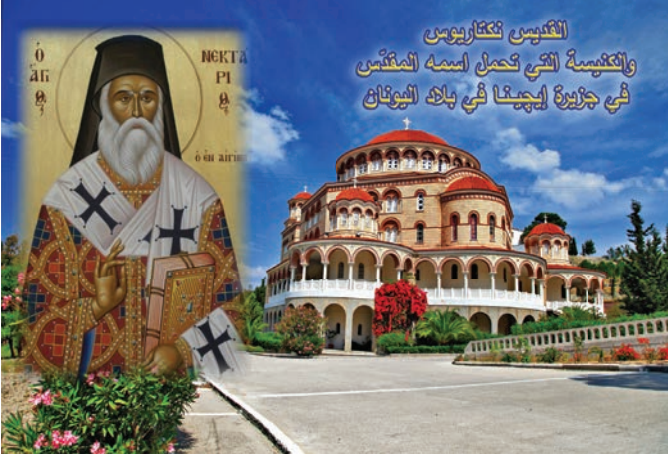
وهكذا بينما كانت شمس حياتهم الأرضية تنحدر للمغيب سريعاً وراء أسوار السجون، كانت تُشرق لهم أنوار الأبدية البهية، ويتلألأ وهج أضوائها بأشعتها الباهرة أمام عيونهم الروحانية التي استضاءت بها قبلاً وذات عربونها، لكي يستوطنوا هناك في المدينة التي لا يغيب نورها «لأنَّ بَحْدَ اللَّهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخُرُوفُ سِرَاجُهَا» (رؤ ٢١: ٢٣).

وبينما غاب عن سمعهم أصوات العالم وضجيجه، طرقت أسماعهم ألحان الخلود، وتسايح الأرواح الخالدة الآتية لاستقبالهم والترحيب بهم في وطن الخالدين، لكي يبقوا هناك، ويعيشوا إلى الأبد مع **عمانوئيل** للأكل من شجرة الحياة، والشرب من ينابيع المياه الحية، والتسربل بالثياب البيض المعدّة للصابرين الفائزين: «وَأَحَابَ وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ قَائِلاً لِي: «هَؤُلَاءِ الْمُتَسَرِّلُونَ بِالثِّيَابِ الْبَيْضِ، مَنْ هُمْ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَوْا؟ فَقُلْتُ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الصَّيْفَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخُرُوفِ ... لَنْ يَجُوعُوا بَعْدَ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدَ، وَلَا تَقَعُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لِأَنَّ الْخُرُوفَ الَّذِي فِي وَسْطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنْبَيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمَسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ» (رؤ ٧: ١٣-١٧).

الكُمُون:

الكُمُون نبات عشبي حولي من العائلة الخيمية، بذوره من التوابل، ويستخدم في الطعام لإضفاء نكهة طيبة، وأصنافه كثيرة منها الكرمانى والبنطى، والحبشى، والكُمون الحلو هو الأنسون، والأرمنى هو الكرويا، ويقول إشعياء النبي: «إن الشونيز لا يدرس بالنورج ولا تُدار بكرة العجلة على الكُمون، بل بالقضيب يخطط الشونيز، والكُمون بالعصا» (إش ٢٨: ٢٥ و ٢٧) ويقول الرب للكتبة والفريسيين: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكُمون. وتركتهم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» (مت ٢٣: ٢٣).





الفصل الثامن

وكان الوقت يمرّ وإذا به قد كتب سبع مرّات كل الجُمْل التي نقلها في دفتره. صار يعرفها عن ظهر قلب ويكتبها تلقائيًا. ثمّ حدث شيءٌ غريب: فمنذ ذلك اليوم بدأ انتاج المُشغَل يتضاعف حتى لم يُعَد باستطاعة العمّال أن يُلبّوا جميع الطلبات. ومع ذلك بقي ربّ العمل سيّء المزاج، عابسًا، يجمع الأموال، عديم الإحساس حزينًا.

وبعد مدّة حصل ما لم يكن في الحسبان: فقد بدأت ثيابه وحذاءه بالاهتراء. وصارت أصابع قدميه تظهر من خلال حذاءه، والشتاء على الأبواب. ثمّ بدأت الأمطار بالهطول وبعدها الثلج المتواصل. وعائى الصبي من البرد. وفي إحدى الأمسيات قصّد مكتب رئيسه خائفًا، ووجده يأكل قطعة من الحلوى. فسأله المدير بفضاضة:

— ماذا تريد منّي؟

— اعذرني يا سيّدي، لكنني أتيت لأريك ملابس التي صارت متهرئة.

— اكتب الى قريتك رسالة ليرسل لك أهلك غير هذه الثياب.

— لكنهم فقراء، فقراء جدًا. فوالدي ...

— اذهب من هنا فأنا مشغول. وأنّبه جيدًا وإلاّ فاني سأطردك.

وعاد أنستاز إلى زاويته الصغيرة لينام، وامضى الليل كله يبكي على فراشه. ثم رأى في حلمه الضابط الكلّ الذي يحبه كثيرًا واقفًا. وسمعه يسأله عن سبب بكائه المتواصل. فحاول أن يجيبه إلاّ انه عجز عن الكلام. ثمّ استفاق وهبّ واقفًا، وتناول ورقة وقلّمًا وكتب:

”عزيزي يسوع، لقد سألتني عن سبب بكائي: إنّ ثيابي متهرئة، وقد تمرّق حذائي. صرّت حافي القدمين واتألم. أشعر ببرّد شديد بسبب الشتاء. لقد ذهبت البارحة لأشرح لرئيسي، إلاّ أنه طردني. قال لي أن أكتب رسالة إلى أهلي ليرسلوا لي ما احتاج اليه. عزيزي يسوع، منذ أن بدأت العمل وأنا لم أرسل قرشًا واحدًا إلى والدتي ... فما العمل الآن؟ كيف أعيش دون ثياب؟ انّي أرفأها وأرفأها لكنها تتمرّق من جديد. سامحني إذ ازعجتك. أجتو أمامك واعبدك.

عبدك أنستاز

ثمّ وضع رسالته في مغلف وكتب عليه: «إلى يسوع المسيح في السماوات».

وإذا طلع الفجر نهض ولبس ثيابه بسرعة وذهب إلى البريد (كانت قد أوكلت إليه خمس رسائل أخرى لإيداعها في البريد في إطار عمله).

* هذه الرسالة لم تعد موجودة، إلاّ أنه تم تركيبها على نحو تقريبي بحسب ذكريات العائلة.

كانت الشوارع مقفرة، إلاّ انه التقى بجاره السيد ثيموستوكليس الذي يملك المخزن المقابل، ويبيع فيه أطرا ولوحات وسكائر ... فبادره:

— إلى أين تذهب في هذه الساعة يا أنستاز؟

— إلى البريد

— أنت مُبَكَّرٌ جدًا.

— أعطني الرسائل التي معك وأنا أضعها في البريد لأني ذاهبٌ إلى هناك. هل تشعر بالبرد أيها المسكين؟ عُذ إلى بيتك لأنك ستصاب بالمرض، ومن سيهتم بك عند ذلك؟

— إنّي أشكر.

ما الذي دعاه فجأة لكتابة هذه الرسالة؟ كيف وجد هذا الولد الجرأة الكافية لمثل هذا العمل؟ كانت الحاجة بالطبع أم الاختراع. ولم يكن عنده خيار آخر. في الحقيقة يجب ألاّ ننسى أن العمل يُعطي ثماره.

وثيموستوكليس هذا، صاحب المخزن المقابل، ماذا نسميه؟ أملاًكاً أم رسولاً للمحبة؟ انه حتّمًا رسول الله العليّ. كل عطية من الله تجعل الانسان مدينًا له، وأسيرًا ... لا بدّ أنه فتح عينيه بدهشة، هذا الجار الطيّب، عندما رأى تلك الرسالة الغريبة. وبعد أن فتحها تحرّكت مشاعره وتأثّر.

وبعد أيام أرسل بالبريد طردًا يحوي ثيابًا جديدة وحذاء، وملابس داخلية، وبعض المال. وفوق الملابس وضع ورقة كتب عليها بخط جميل هذه العبارة: “من المسيح إلى أنستاز”.

وكانت فرحة الولد لا توصف، فقد جثا على ركبتيه وشكر الرب من كلّ قلبه وهو يرّدّد: “يا يسوعي. أيها المسيح المحبوب، كنت أعلم أنّك ستشفق عليّ.”



التجديف على الروح القدس هو التجديف على الطبيعة الإلهية وهو التجديف على لاهوت الابن للقدّيس أناسيوس الكبير



كإنسان. لكن لم تكن أعمال الجسد تتم بدون اللاهوت، أو أعمال اللاهوت تتم بدون الجسد، بل على العكس كل أعماله صنعها الربّ الواحد، الذي أكمل كل شيء في سرّ نعمته. وعلى سبيل المثال، بصق على الأرض كما يبصق كل الناس، لكن لعبه وحده، كان فيه قوّة إلهية لأنه وهب به البصر لعيني المولود الأعمى (يو ٩: ٦). ورغم أنه الإله إلا أنه تكلم بلغة بشرية، وقال «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠). وبإرادته منح الشفاء (مت ٨: ٣). ولكن عندما مدّ يده الإنسانية. أقام حماة سمعان بطرس من الحمى (مر ٣١: ١) وبنفس اليد أقام من الموت ابنة رئيس المجمع (مر ٥: ٤).

وقد أخطأ الهراطقة كلّ حسب مقدار جهله. البعض منهم نسب كل ما حدث من الربّ لجسده (أي كإنسان) وتعاموا عن القول الإلهي «في البدء كان الكلمة» (يو ١: ١). والبعض نسب ما حدث إلى لاهوته فقط، ولم يفهموا القول «والمُكَلِّمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يو ١: ١٤). لكن المؤمن الذي يتبع تعليم الرسل يعرف غنى الربّ ومحبه للبشر. وعندما يرى أعماله العجيبة الإلهية، يمجّد الرب الذي ظهر في الجسد. وعندما يرى أعمال الجسد يتعجب ويرى فيها القوّة الإلهية التي تعمل. هذا هو إيمان الكنيسة، ولذلك إذا ثبتّ البعض عيونهم على الجانب الإنساني في حياة الربّ وشاهدوه يختبر الجوع والتعب والألم، يتحدثون عنه بدون تقوى كمن يتحدث عن إنسان فقط، فيخطئون بذلك خطيئة عظيمة. وبلا شك أن لم يتأخروا في التوبة، يمكنهم الحصول على المغفرة، لأن ضعفهم الإنساني هو عذر لهم. وحتى الرسول يمنحهم المغفرة وبطريقة ما يمد يده إليهم لأنه بالحق يقول وبدون جدل، «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١ تي ٣: ١٦). وعندما يرى البعض أعمال اللاهوت، يترددون في الاعتراف بإنسانيته وهذا خطأ بالغ، ويتوهمون عندما يقرأون أن الربّ يأكل ويتألم أنه خيال، هؤلاء إذا لم يتأخروا في التوبة سيغفر لهم يسوع، لأنهم لا يفهمون أعماله الفارقة التي أتمها في الجسد. وإذا فحصنا جهل هؤلاء وأولئك، أي الذين يخطئون ولهم معرفة بالناموس مثل الفريسيين، أو الذين يستسلمون للجنون، وينكرون وجود الكلمة في الجسد، أو يذهبون إلى أبعد من هذا عندما ينسبون أعمال اللاهوت إلى الشيطان وجنوده. فأنه من

هذه هي الكلمات التي تسأل عن معناها: بعد أجراء معجزات كثيرة كما ذكر الإنجيل قال الفريسيون «هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِعَظَمَةِ رَأْيٍ» والربّ الذي عرف أفكارهم قال لهم «كُلُّ مَمْلُوكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ» (مت ٢٤: ٢٥). وبعدها مباشرة قال: «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!» (مت ١٢: ٢٨). ثم ختم بقوله «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتَجْدِيفٌ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ. وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لَا فِي هَذَا الْعَالَمِ وَلَا فِي الْآتِي.» (مت ٣١: ١٢ - ٣٢).

ومن هنا جاء سؤالك: لماذا يُغفر التجديف على الابن؟ ولماذا لا يُغفر التجديف على الروح القدس، لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضاً؟

... أجد في الكلمات السابقة عُمقاً عظيماً، ولذلك بعد أن صليت بلحاجة للربّ الذي جلس عند البئر، ومشى على المياه، أعود إلى تدبير الخلاص الذي تمّ، راجياً أن أكون قادراً على أن أملأ دلوياً من معاني الكلمات الإنجيلية التي نبحتها.

كل الكتب الإنجيلية وبالذات **يوحنا**، تخبرنا عن سرّ التدبير الإلهي «والمُكَلِّمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو ١: ١٤)، وبولس عندما يكتب: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلُوسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.» (في ٢: ٦ - ٨). ولأنه الإله الذي أخلى ذاته وصار إنساناً، أقام الموتى وشفى المرضى، وبكلمته حول الماء خمراً... وهذه كلها أعمال ليست من قدرة البشر. ولكنه جاع وعطش وتألم لأنه أخذ جسداً، وكل أعمال الجسد ليست من صفات اللاهوت. كإله قال «صَدَّقُونِي أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ» (يو ١٤: ١١)، ولأنه أخذ جسداً حقاً وبكل يقين، انتهر اليهود قائلاً: «وَلَكِنْكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ.» (يو ٨: ٤٠). ورغم كونه إلهاً إلا أنه لم يقدّم بهذه المعجزات مرّة واحدة، لأنه تجسّد وكان عليه أن يواجه الاحتياجات والظروف المرتبطة بحياته

العدل أن تكون عقوبة عدم تقواهم هي عدم المغفرة، لأنهم اعتبروا الشيطان مثل الله، وحسبوا أن من هو بالحقيقة الله، لا شيء في أعماله يدل على ألوهيته، بل أنه الشيطان يستخدم أعوانه.

وإلى هذه الدرجة السفلى من عدم التقوى انحدر اليهود في ذلك الزمان، وبالدّات الفريسيون منهم. ورغم أن الربّ كان يقوم بأعمال الآب علانية، فقد أقام الموتى، ومنح النظر للعميان وجعل العرج يمشون وفتح آذان الصم، وجعل الخرس يتكلمون، معلّناً أن الخليقة العاقلة وغير العاقلة خاضعة له، لأنه هو الذي أمر الريح ومشى على البحر، والجموع عاينت هذا، وامتألت بالدهشة ومجدت الله، إلا أن الفريسيين قالوا إن هذه أعمال بعزبول، ومن فرط جنونهم لم ينجحوا من أن ينسبوا قوة الله للشيطان. وأمام هذا أعلن الربّ بالحق أن تجديفهم بلا مغفرة، لأنهم عثروا في كل ما يختص بإنسانيته، وكان لهم في المسيح كإنسان، رأي شرير، إذ قالوا: «أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟» (مت ١٣: ٥٥)، «كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» (يو ١٥: ١٥)، «فَأَيَّةُ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟» (يو ٦: ٣٠) و «لِيُنْزِلِ الْآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ، لِنَرَى وَنُؤْمِنَ!». (مر ١٥: ٣٢). وقد احتمل الربّ كل هذا، واعتبر الإنجيل مثل هذه الأقوال تجديفاً على ابن الإنسان، وتألّم الربّ من قساوة قلوبهم (مر ٣: ٥) وقال: «إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ أَنَّيَ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا، مَا هُوَ لِسَلَامِكَ!» (لو ١٩: ٤٢). وغفر الربّ لبطرس عندما تكلمت معه الجارية عن يسوع كإنسان، وأجاب بطرس بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها، ولكن الربّ غفر له عندما بكى بدموع. أما عندما سقط الفريسيون إلى أدنى من كل هذا، وتفوّهوا بما هو شرٌّ من كل ما سبق، حتى أنهم قالوا إن أعمال الله هي أعمال بعزبول لم يحتملهم، لأنهم جدّفوا على روحه بقولهم: أن من يعمل هذه الأعمال ليس الله ولكنه بعزبول. ولهذا السبب استحقوا عقوبة أبدية. وفي الحقيقة أن جرأتهم زادت عن الحدّ، وعندما رأوا ترتيب العالم والعناية به نسبوا الخلق إلى بعزبول، حتى أن الشمس صارت بحسب قولهم تحت سلطان الشيطان، وأصبح الشيطان هو الذي يحرك النجوم في السماء، لأن كل أعمال الآب كخالق، عملها يسوع، فإذا قالوا أن أعمال يسوع هي أعمال بعزبول، فكيف إذن يفهمون القول الإلهي «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.» (تك ١: ١).

ولكن مثل هذا الجنون ليس غريباً عنهم، لأن آباءهم أظهرنا نفس الطباع، فبعد خروجهم من مصر، صنعوا العجل الذهبي في البرية، ونسبوا إليه المعجزات والبركات التي أخذوها من الله، وقالوا: «هَذِهِ إِلَهُتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (خر ٣٢: ٤)، وبسبب هذا التجديف الذي ارتكبه أولئك المجانين، تم فناء الكلّ في البرية، وأعلن الله أنه في يوم افتقاده «أَفْتَقِدُ فِيهِمْ خَطِيئَتَهُمْ» (خر ٣٢: ٣٤). وعندما اشتكوا من انعدام الخبز والماء، اهتم بهم تماماً مثل اهتمام المرضعة برضيعها، ولكنهم زادوا الشكوى إلى الحدّ الذي وصفه الروح القدس في المزامير «وَاسْتَبَدُّوا بِجَدِّهِ بِمِثَالِ عَجَلٍ آكِلِ

عُشْبًا» (مز ١٠٥: ٢٠). وعندما اجتزأوا على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا مغفرة له، ضربهم الرب كما يقول الكتاب بسبب العجل الذي سبكه هارون (خر ٣٢: ٣٥).

وتصرف الفريسيون بنفس الوقاحة، ولذلك عاقبهم الربّ عقوبة بعزبول نفسه الذي تحدّثوا عنه، كي يحترقوا معه بنار أبدية.

ولم يكن الربّ يقصد بما قاله في الإنجيل أن يقارن بين التجديف الموجه ضده، والتجديف الموجه للروح القدس، ولا يُشِيرُ ولو من بعيد أو بطريق غير مباشر إلى أن الروح القدس أسمى منه. ولا لأن التجديف على الروح أخطر، نطق الرب بهذه الكلمات - حاشا - لأنه علّم من قبل، أن كل ما هو للآب فهو للابن، وأن الروح يأخذ من الابن، وبذلك يمجّد الابن (يو ١٥: ١٤ - ١٥). والروح لا يعطي الابن بل الابن هو الذي يعطي الروح وقد أعطاه لتلاميذه، وبهم يعطيه لمن يؤمنون به بواسطتهم. ولم يكن الربّ يقارن نفسه بالروح عندما قال هذه الكلمات، كما أنها لا تعني أن الروح أسمى من الرب، فهذا سوء فهم لكلمات المخلص. والتجديف بنوعيه موجه بالضرورة للروح القدس. والنوع الأول من التجديف محتمل، أما النوع الثاني فهو خطير.

وقد ارتكب الفريسيون نوعي التجديف لأنهم رأوه إنساناً فأهانوه بقولهم: «مَنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟» (مت ١٣: ٥٤). وقولهم: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» (يو ٨: ٥٧). ورغم أنهم رأوا أعمال الآب فيه، إلا أنهم لم يرضوا بألوهيته. وبدلاً من هذا قالوا إن بعزبول فيه، وإن هذه الأعمال هي أعمال بعزبول، وبذلك أصبح تجديفهم بنوعية موجه ضده. والنوع الأول أقل خطورة بسبب العذر الواضح وهو إنسانيته، أما النوع الثاني فهو أخطر لأنه إهانة موجهة إلى ألوهيته. ومثل هذا التجديف الخطير هو الذي استدعى عقوبة عدم المغفرة. ومن الواضح أن الرب كان يشجع التلاميذ عندما قال لهم: «إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعَزْبُولَ» (مت ١٥: ٢٥)، وأكّد هنا أنه هو رب البيت الذي جدف عليه اليهود.

أما اليهود فعندما قالوا عنه «بعزبول»، فهم لم يهينوا أحداً سوى الربّ يسوع، وهذا واضح من التعبير نفسه. لأن كلمة «الروح» في نص الإنجيل «أَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ» (مت ١٢: ٣١)، تشير إلى الربّ نفسه. وكل هذا القول يقصد به نفسه. لأن «رَبَّ الْبَيْتِ» يراد به المسيح أي ربّ الكون كله. وأنا أرجوك ألا تتضايق من هذا التكرار، فهو لازم إذا كُنَّا نحرص للوصول إلى المعنى الدقيق للنص ولذلك سأعود إلى ما ذكرته سابقاً أن الجوع والتعب والنوم والإهانات كلها خاصة بناسوته، أما الأعمال الباهرة التي كان يقوم بها الربّ، فلم تكن أعمال إنسان بل أعمال الله. لذلك إذا ما شاهد بعض الناس الأشياء الخاصة بالإنسان مثل الجوع... الخ، وأهانوا الربّ لأنه حسب ظنهم مجرد إنسان، فقد حُسِبُوا مستحقين لعقوبة أقل من عقوبة أولئك الذين ينسبون أعمال الله للشيطان. لأن هؤلاء

لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدسة للكلاب (مت ٧: ٦)، بل يجعلون الله مساوياً للشيطان، ويدعون النور ظلمة (إش ٥: ٢٠). لذلك سجل مرقس أن تجديف اليهود بلا مغفرة، «وَلَكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الْأَبَدِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوْجِبٌ دَيْنُونَةٍ أَبَدِيَّةٍ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ مَعَهُ رُوحًا نَجَسًا» (مر ٣: ٢٩-٣٠).

والرجل الأعمى منذ ولادته عندما أبصر، شهد بأنه لم يسمع من قبل أن أحداً فتح عيني مولود أعمى، ولذلك قال «لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا» (يو ٩: ٣٢-٣٣). حتى الجموع نفسها عندما امتلأت من الإعجاب بما فعله الرب قالت: «لَيْسَ هَذَا كَلَامٌ مِّنْ بِهِ شَيْطَانٌ. أَلَعَلَّ شَيْطَانًا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَ الْعُمَيَّانِ؟» (يو ١٠: ٢١). أما هؤلاء الذين امتلأوا من معرفة الناموس، أي الفريسيون، وهم الذين يلبسون العصائب العريضة (مت ٢٣: ٥)، ومزهوون بمعرفتهم بالناموس أكثر من باقي الناس (يو ٩: ٢٤-٢٩)، كان من المفروض عليهم، بسبب هذه المعرفة، أن يخرجوا ولكن كما هو مكتوب عنهم أنهم «أَعَاظُوهُ بِالْأَجَانِبِ، وَأَعَاظُوهُ بِالْأَرْجَاسِ. دَبَّجُوا لِأَوْثَانٍ لَيْسَتْ لِلَّهِ.» (تث ١٦: ٣٢-١٧). وعندما قالوا إن بالرب شيطاناً، وإن أعمال الله هي أعمال الشيطان، لم يكن لديهم أي أسباب مقنعة تدفعهم إلى هذا الاعتقاد. والدافع الحقيقي لمثل هذا التجديف هو رغبتهم في أن ينكروا أن الذي يعمل هذه الأعمال هو الإله ابن الله. وبالحقيقة لقد أكل أمامهم، وشاهدوا جسده وتأكدوا أنه إنسان، فكانت لهم فرصة لأن يقتنعوا من أعماله أن الآب فيه وأنه في الآب. أمّا لماذا لم يقتنعوا؟ فلأنهم أصروا ألا يقتنعوا.

وفي الحقيقة لقد سكن بعليزبول في الفريسيين. وكان بعليزبول هو الذي يتكلم فيهم. ولذلك قالوا عن المسيح أنه مجرد إنسان، بسبب ناسوته، دون الاعتراف به إلهًا بسبب أعماله التي هي أعمال الله. ولكن بهذه السقطة أَلْهُوا بعليزبول الذي سكن فيهم، والذي في النهاية سوف يعاقبون معه في النار إلى الأبد.

ودراستنا للنص، توضح لنا أنه يعني نوعي التجديف اللَّذَيْنِ أشرنا إليهما سابقًا. ذلك أن المخلص أشار إلى نفسه عندما قال «ابن الإنسان» ولكنه كان يعني أيضًا نفسه عندما تحدث عن «الروح». والاسم الأول «ابن الإنسان» يوضح تجسده، والاسم الثاني «الروح» يوضح طبيعته الروحية غير المادية ولاهوته. وفي الواقع أن الخطيئة التي يمكن غفرانها، هي العثرة الناتجة عن رؤية ناسوته، أي ما يتعلق به كابن الإنسان، ولكنه أوضح أن التجديف الذي لا يمكن مغفرته هو التجديف على «الروح» أي على الطبيعة الإلهية...

واستعمال كلمة «روح» جاء بنفس المعنى في حديث الرب مع السامرية عندما وجّه فكرها إلى المعنى الروحاني، ورفع نظرها إلى الأمور غير المادية بقوله لها «اللَّهُ رُوحٌ» (يو ٤: ٢٤)، لكي يستقرّ في قلبها

الفهم الصحيح عن الله، أنه ليس من طبيعة مادية محصورة في مكان بل أنه روح. وهذا ما يعنيه كلام النبي الذي يقول عندما يشير إلى الكلمة وقد تجسد: «نَفْسٌ أُتُوفِنَا، مَسِيحُ الرَّبِّ» (مراثي ٤: ٢٠). وحتى لا يعثر أحدًا ما بالشكل الخارجي للموس، ويظن أن الرب هو مجرد إنسان، جاءت كلمة «الروح» لتؤكد أن الذي في الجسد هو الله.

وهكذا يبدو لنا أمران ظاهران تمامًا:

الأول: هو حالة من يرى الرب في الجسد ويعتبره مجرد إنسان، ويقول بعدم إيمان «مَنْ أَتَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟» (مت ١٣: ٥٤). وكل من يتكلم بهذا يخطئ بدون شك، ويجدف على ابن الإنسان.

والثاني: يرى أعماله التي تتم بالروح القدس ويقول إن صانع هذه الأعمال ليس الله ولا ابن الله، وينسب هذه الأعمال لبعلزبول، مثل هذا يُنكر لاهوته، وهذا ما يظهر واضحًا عدّة مرّات في الإنجيل، لا سيما في النص الذي نشرحه.

ومرة أخرى، نكرّر، عندما يوصف الرب بأنه «ابن الإنسان» فهو نفسه يستخدم هذا اللقب لتأكيد بشريته، ولكن عندما يتحدث عن الروح أي الروح القدس الذي به يصنع كل هذه الأعمال، أي (الروح) الكائن فيه، يقول بعد إتمام أعماله الباهرة: «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ١٠: ٣٨).

أما عن موضوع موته عنا بالجسد، عندما صعد إلى أورشليم (مت ٢٠: ١٨) لهذه الغاية، فقد قال لتلاميذه: «تَأْمِنُوا الْآنَ وَاسْتَرَبِحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخَطَاةِ.» (مت ٢٦: ٤٥). وحقًا إن أعماله تجعل أي إنسان يؤمن أنه الله حقًا، ولكن موته يؤكد أيضًا أنه بالحقيقة تجسّد. ولهذا السبب قال إن الذي سيسلم لأيدي الناس الخطاة هو ابن الإنسان، لأن الكلمة غير ماثت ولا يمكن لمسه بل هو في جوهره الحياة نفسها. ولكن عندما لم يؤمن الفريسيون، بأعمال الرب، ولا بالأعمال التي كان أنباؤهم يقومون بها، ونَجَّهَهم الرب بهذه الكلمات (مت ١٢: ٢٧). وإشارته هنا إلى «الروح» أو «روح الله» لا تعني أنه أقل من الروح، أو أن الروح هو الذي كان يعمل هذه الأعمال بواسطته، ولكن لكي يوضح أنه كلمة الله الذي يعمل كل هذه الأعمال بالروح، ولكي يعرف سامعوه أنهم عندما ينسبون هذه الأعمال لبعلزبول، بينما هي أعمال الروح، فأنهم يهينون الذي يعطي الروح أي الابن. وحقًا لقد أعلن في نص الإنجيل (مت ١٢: ٢٧) أنهم قد انحطوا إلى أسفل الدرجات، وأنهم بمعرفة يجدفون، وليس بسبب



الجهل بل هم يجدفون رغم معرفتهم أن الأعمال التي يقوم بها هي أعمال الله، ولكن هؤلاء المجانين نسبوا هذه لبعلزبول، أي كأنهم يقولون إنها تمت بواسطة روح نجسة.

وكيف يستطيع أناسٌ لهم مثل هذه الوقاحة أن ينتقدوا الوثنيين الذين يصنعون الأصنام ويدعوها آلهة؟ حقًا إن جنون الفريسيين مثل جنون عبدة الاوثان. كلاهما يفعل ذات الشيء، وإن كان الذي قد فعله الفريسيون أخطر، لأنهم بعد أن أخذوا الناموس الذي يحذّرهم من عبادة الآلهة الغريبة، يتجرأون ويحتقرون الله بمخالفتهم للناموس.

ولكن بعد هذا التحديف ماذا سيفعلون عندما يسمعون إشعياء النبي وهو يخبر عن علامات مجيء المسيح مثل رَدِّ البصر للعميان، وَمَشْيِ الْعُرجِ، وَنُطْقِ الْخُرْسِ، وإقامة الموتى، وَشَفَاءِ الْبُرْصِ، وَفَتْحِ آذَانِ الصُّمِّ؟ من هو صانع كل هذه المعجزات؟ إذا قالوا الله الآب، فأثم يدينون أنفسهم بعدم قبول الرب، لأن ما رآه النبي وأخبر عنه، هو ما فعله الرب يسوع عندما كان على الأرض في الجسد. ولكن إذا أصيبوا بالعمى وقالوا هذه الأعمال هي أعمال بعلزبول، فأثم يتحدّثون شيئًا فشيئًا إلى عدم التقوى، خصوصًا عندما يقرأون «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَّا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟» (خر ٤: ١١)، وأعمال أخرى مشابهة، وربما قادهم جنونهم إلى الادعاء بأنه حتى هذه الأعمال نفسها هي أعمال بعلزبول، وهذا هو التطور الحتمي لفكرهم، لأنهم إذا نسبوا إليه نعمة البصر فإنه ينسبون إليه أسباب العمى أيضًا، حيث إن كلمات الكتاب المقدس تؤكد أن الذي قام بالخلق هو الذي قام بالمعجزات، وأنه هو صاحب كل الأعمال. وبالتالي سيصلون إلى نتيجة رهيبة وهي أن خالق الطبيعة البشرية هو بعلزبول، لأن من صفات الخالق أن يكون له سلطان على خليقته. وهذا يؤكده موسى: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... (والإنسان) عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ.» (تك ١: ٢٧)، ودانيال أعلن لداريوس: «لَأَنِّي لَا أَعْبُدُ أَصْنَامًا صَنْعَةً الْإِنْسَانِ، بَلِ الْإِلَهِ الْحَيِّ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي لَهُ السُّلْطَانُ عَلَى كُلِّ ذِي جَسَدٍ» (تثمة سفر دانيال ٢: ٤). وإذا غيروا فكرهم وتصوروا أن ضعف الجسد مثل العمى والعرج، هي عقوبة من الخالق بينما الشفاء وعمل الرحمة هو من بعلزبول، فإن مجرد مناقشة هذا الرأي هو الجنون بعينه. وطريقة تفكير هؤلاء الناس هي طريقة المجانين والسكران وعديمي التقوى، لأنهم أصبحوا ينسبون ما هو حسن أي معجزات الرحمة لبعلزبول وليس لله. ومثل هؤلاء الناس لا تونجهم ضمائرهم عندما يغيرون تعاليم الكتب المقدسة، طالما أنهم يَصِلُونَ إلى غايتهم وهي إنكار مجيء المسيح في الجسد.

وكان من الأفضل هؤلاء الناس الأشرار الامتناع عن إهانة المسيح «كأبن الإنسان» لأن له جسدًا بشريًا والاعتراف به كإله حقيقي بسبب معجزاته، ولكنهم فعلوا العكس تمامًا، لأنهم عندما أدركوا أنه إنسان احتقروه، وعندما عاينوا معجزاته الإلهية أنكروا لاهوته، ونسبوا هذه المعجزات للشيطان. وظنوا أنهم مثل هذه الوقاحة وهذا

التحديف سيهربون من دينونة الكلمة التي بها أهانوه. ولتذكروا أن العرافين والمنجمين وسحرة فرعون عندما حاولوا تقليد معجزات موسى عجزوا، وانسحبوا معلنين أن هذه هي إصبع الله (خر ١٩: ٨). وبينما أبصر الفريسيون والكتبة يد الله وهي تعمل، بل عاينوا معجزات أكثر وأعظم قام بها المخلص، قالوا إن الذي فعل كل هذه المعجزات هو بعلزبول، مع أن بعلزبول هو إله السحرة الذين اعترفوا بأنهم عاجزون عن القيام بأي عمل خارق، وحتى أقل من أعمال موسى، فمن ذا الذي يمكنه أن يقبل إهانة الفريسيين أو فسادهم الذي سبق الأنبياء وأدانوه؟

وإذا قارنا بين خطيئة الفريسيين وذنوب أهل سدوم، يصبح أهل سدوم بالنسبة إلى الفريسيين أبرارًا. بل لقد زادوا في جهلهم أكثر من الوثنيين، وغباوة سحرة فرعون ولا مثيل لهم في جرمهم إلا الآريوسيين، لأنهم معًا سقطوا في نفس الفساد. لأن اليهود عندما رأوا أعمال الآب التي يقوم بها الابن نسبوها لبعلزبول، والآريوسيون عندما رأوا نفس الأعمال نسبوها لمخلوق، لأنهم قالوا إن الابن خلُق من لا شيء، وأنه مرَّ وقت لم يكن فيه الابن كائنًا، والفريسيون تذمروا عندما رأوا الرب في الجسد وقالوا «فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إلهًا» (يو ١٠: ٣٣)، وهؤلاء الآريوسيون أعداء المسيح عندما رأوه ينام ثم يتألم، جدفوا عليه بهذه الكلمات: «الذي يعاني من كل هذه الآلام لا يمكن أن يكون الإله الحقيقي ولا من ذات جوهر الآب».

وأخيرًا أن كل من يريد أن يفحص جنون الجماعة الأولى أو الثانية سوف يرى أنهم في النهاية سوف يستقرون في وادي الظلام (تك ٨: ١٤).

ولهذا السبب أعلن المخلص أنه بالنسبة للجماعتين، توجد عقوبة واحدة لهذه الجريمة الواحدة وهي عدم المغفرة: «أَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ قُلْنَ يُعْزَرُ لَهُ، لَا فِي هَذَا الْعَالَمِ وَلَا فِي الْآتِي.» (مت ١٢: ٣٢).

وهذا صوابٌ تمامًا لأن الذي ينكر الابن، لا يجد من يسرع لمصالحته مع الآب. وأي حياة أو راحة ستبقى لمثل هذا الإنسان الذي يرفض ذاك الذي قال «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.» (يو ١٤: ٦) و «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.» (مت ١١: ٢٨). فإذا كانت هذه هي عقوبة المجدفين، وهي عقوبة كل من يعتنق عقيدتهم في المسيح، فإنه من المؤكّد أن الذين يعبدون الرب في الجسد، وفي الروح ولا ينكرون أنه ابن الله وأنه تجسد بل يؤمنون في وقت واحد أنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا بَجْدَهُ، نَحْنًا كَمَا لَوْحِدٍ مِنَ الْآبِ» (يو ١: ١٤)، سوف يملكون مع المسيح إلى الأبد في السماء حسب مواعيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي قال «فَيَمِضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (مت ٢٥: ٤٦).

سَيَقْبَلُ فيما بعدُ بخصوص ما سيحدث له، لأنّه سيقبلُ بفرح الأدوية المُرّة التي يعطيها له الربُّ من أجل صحة نفسه. إنسانٌ كهذا يعتبرُ كلَّ شيءٍ كتنبيحة لصلاته، لكونه يسأل الله باستمرارٍ أن يُطَهَّر نفسه. لكن، إذا واجهَ البشرُ شدائدَهم بطريقةٍ عالميّة، فسيتعدّون. وما دام الله يُتابنا جميعًا عن كثبٍ. فحريٌّ بنا أن نُسلِّم ذواتنا له بلا شروط. لأنَّ رغبة الإنسان ومحاولته العيش كما يريدُ هو، ستصير له عذابًا لا نهائيًا، ولنَ يَجِدَ السَّلام في أيّ شيء.

سواء كان الانسان جائعًا أم مكثفًا، مظلومًا أم ممدوحًا، فعليه أن يتهج ويواجه كلَّ شيء بتواضع وصبرٍ. وعندها سيغدق الله عليه البركات، لدرجة تعجزُ فيها نفسه عن احتمال صلاحه. وكلّما تقدّم روحانيًا، عاش محبة الله وذاب بها.

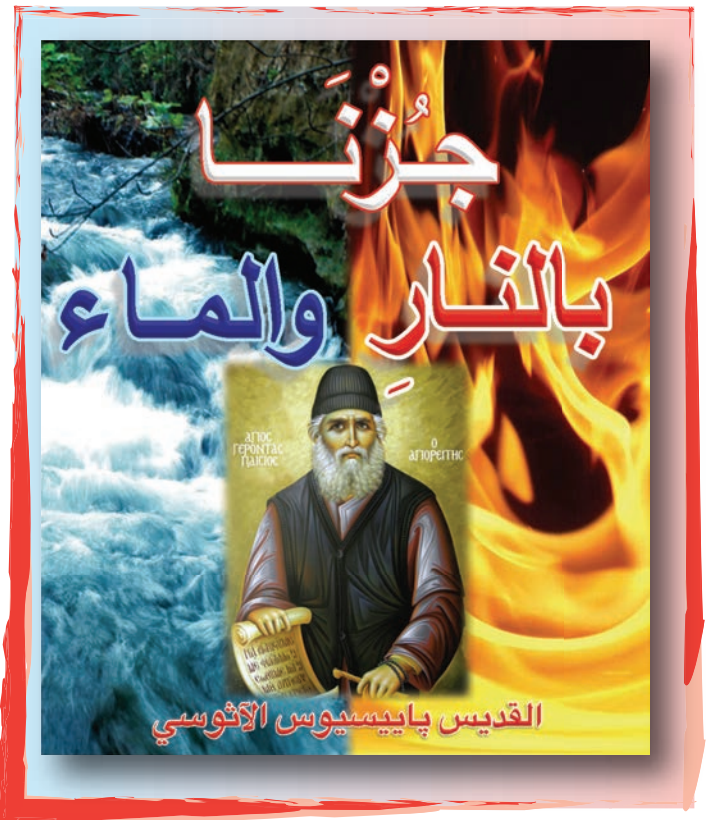
✠ هل التجارب والأحزان هبة من الله ؟

✠ **التجارب** التي تعترضنا هي أحيانًا مُضادات للجرائم، أعطاهَا لنا الله من أجل أمراض نفوسنا، وهي تُفيدنا روحانيًا بشكل كبير. يأخذُ المرءُ «صفعة» ناعمةً فيلن قلبه. يعرفُ الله وضع كلِّ إنسانٍ. ولكوننا نُجهلُ هذا الوضع، يسمُحُ بأنَّ نُجربَ حتّى نعرفَ ذواتنا ونكتشف الأهواء المخفية داخلنا، فلا نبي توقعاتٍ غير منطقية ليوم الدينونة. فلو غَضَّ الله الطُرفَ عن أهواننا، وأخذنا إلى الفردوس كما نحن، فستثير المشاكل هناك ثانية. لهذا السبب يسمح للشَّيْر بِخلق التجارب هنا ليُطَهِّرنا، حتّى تَتَضَعُ نُفُوسُنَا وتتنقّى بالأحزان، فيهبنا الله النعمة حينئذٍ.

يولّد الفرح الحقيقي من المارة التي يختبرها الإنسان بفرح من أجل المسيح، الذي ذاق المُرَّ ليُخلّصنا. على المسيحي أن يتهج بشكل خاص عندما يتعرّض لبعض المحن، دون أن يكون قد شرّح سببًا لحدوثها.

نقولُ لله أحيانًا: «يا إلهي، لا أعرف ماذا ستفعل، لكنّي أودع نفسي بين يديك بالكلية، فاجعلي كائنًا بشريًا». وفيما بعد يباشر الله عمله لا ليُجعلني كائنًا بشريًا وحسب، بل مخلوقًا أعلى وأسمى، ويسمح للشيطان بأن يُجربني ويُعدّني. أنا الآن مريضٌ بالسرطان، وأستطيع رؤية حَدِّهِ فأضحكُ. يا للشيطان الشرير! هل لديك أدنى فكرة عن نوع الصابون الذي يغسل به الانسان، عندما يسمح له الربُّ بتجربتنا؟ إن استخدم صابون شرّ، وهو فعّال جدًّا. كما أنَّ الجمل يُخرج رغوَةً وزندًا من فمه عندما يغضبُ، كذلك يفعل الشرير.

* **احدى قطع خدمة البراكليسي الصغير:** «ابتها السيدة الكلبي قدسها، لا تكلينا الى شفاعة بشرية، لكن تقبلي ابتها لاتنا نحن عبيدك لأننا في ضغطة وحزن. ولا نستطيع ان نحتمل قسي الشياطين، وليس لنا ستر ولا ندري الى أين نلتجى نحن الاشقياء المحاربين من كل جهة، وليس لنا سلوة سواك، فيا سيدة العالم يا رجاء وشفيعة المؤمنين لا تعرضي عن ابتها لاتنا بل اصنعي ما يوافقنا.»



✠ الله يعطي التعزية الحقيقية في الآلام ✠

✠ ياروندا، لماذا يُعاني الجنس البشري كثيرًا في هذه الأيام ؟

يتمنّى الله بمحن اولاده ويُغدق عليهم العزاء كأبٍ حنون. بعد كلِّ هذا، هل تعتقدن أنَّ الله يريد رؤية أبنائه وهم يتألّمون؟ هو يعرف كلَّ ضيقاتهم ودموعهم، وفيما بعدُ سيُعوّضُهم ويكافئهم. يهب الله التعزية الحقيقية في خِصَمِّ الآلام. لهذا السبب، نُجدُ الإنسان الذي لا يؤمن بالله أو الحياة الحقيقية، ولا يطلب رحمة الربِّ في أوقات الشدّة، هو شخصٌ يائس ولا معنى لحياته. إنسانٌ كهذا لا يفتقر فقط إلى المعونة والتعزية، مُقاسيًا العذاب في هذه الحياة، بل وحكمه على نفسه يكون أبدئيًا.

أمّا الناس الروحانيون، الذين يُواجهون مصاعبهم بالالتصاق بالمسيح، فلا يشعرون بالحزن. وإذا شاركوا آخرين آلامهم المُرّة، يُحزنون أيضًا محبة الله الوافرة. عندما أرتل التزيمة التالية: «أيتها السيدة الكلبي قدسها، لا تكلينا إلى شفاعة بشرية»، أفقُ أحيانًا عند هذه العبارة: «لكن تقبلي ابتها لاتنا نحن عبيدك...»، فإذا لم أشعرُ بجزنٍ أو أسى، فكيف يمكنني حينئذٍ أن أقول المقطع التالي: «لأننا في ضغطة وحزن، ولا نستطيع أن نحتمل قسي الشياطين» * ! فهل أكذب؟ إذا واجهنا تجاربنا بطريقة روحانية فلن نشعر بالحزن. فعندما يُودع الإنسان ذاته للمسيح بشكلٍ مُلائم، أيّ روحاني، فسيتغيّر كلُّ شيء. وإذا أودعنا مرارة آلامنا ليسوع الحلّ، فشرعان ما تَسْتَحِيلُ المرارة والسَّموم عَسَلًا.

عندما يفهم المرء أسرار الحياة الروحانية والطريقة الغامضة التي يتصرّف بها الله، فلن يَقلقُ فيما بعدُ بخصوص ما سيحدث له، لأنّه

يسمح الله بهذا الأمر؟ لكي لا يتذمر البشر، الذين يخطئون ويعاقبون، وألا يتأقّفوا.

لهذا السبب، من يتذكر الصليب الثقيل الذي حملهُ الأشخاص الصالحون لن يقلق أبداً بخصوص تجاربه ومصاعبه البسطة. فهو إذ يرى أنه، رغم كونه خاطئاً في هذه الحياة، يُعاني أقل بكثير من الناس الورعين، فيصرخُ كما صرخ اللصّ التائب على الصليب، «لم يفعل هؤلاء الأتقياء شيئاً خاطئاً وهم يُعانون كثيراً، فماذا سيحدث لي؟». لكن، لسوء الحظّ، هناك بشرٌ يُشبهون اللصّ المصلوب على يسار المسيح، إذ يقولون: «يسيرون حاملي الصليب وانظروا ما حدث لهم!».

توجد حالات نادرة يسمح فيها الربّ، بسبب محبّته، بتعرّض بعض المحاربين الاستثنائيين لضيقاتٍ عظيمة، لكي يمنحهم الأكاليل. هؤلاء يماثلون المسيح. نقرأ في حياة القديسة سنكليتيكي (يُعيد لها في ٥ كانون الثاني)، أنّها كانت تساعد النفوس روحانياً بنصائحها وإرشاداتها، لكن الشرير، حاول أن يعترض عملها ويُعيقه، فمرضت وفقدت صوّتها لمدة ثلاث سنوات ونصف.

قد يطلب انسانٌ من الله أن يغفر خطايا اخوته البشر ويتقدّم من غضبه العادل، وأن يُعاقب هو بدلاً منهم، رغم كونه بلا عيب. انسانٌ كهذا يماثل المسيح، الذي يتأثر بمحبة ابنه النبيلة. وازافة لغفران خطايا الآخرين، يسمح الله أيضاً لهذا الانسان أن يستشهد، استجابة لرغبته الملحة.

لكن، في الوقت نفسه، يُحصّر الربّ له أفضل منزل (يوحنا ٢: ١٤) وأعظم مجد. وسوف يعتقد بعض الأشخاص، الذين يحكمون «بحسب الظاهر»، أنّ الله قد عاقبه بسبب خطاياها الكثيرة.

فهو يُرغى ويُزبد، ثم يفركنا، بداعي حقه وخُبثه، لا لكي نتخلّص من البقع ونصير نظيفين. لكن الله يسمح له بفركنا، على الأقل حتى تزول البقع واللطخات. ولو سمح الربّ له بفركنا كما يفرك الناس الملابس، لمزقنا إرباً إرباً.

✠ ياروندا، هل يمكننا القول أنّ التجارب المختلفة التي تحدث في حياتنا هي ما أرادها الله لنا؟

✠ كلاً، يجب ألا نخلط بين إرادة الله والتجارب وبكل ما يُسببه الشرير. يترك الله الشيطان حُرّاً إلى حدّ معيّن حتى يُجرب الإنسان، ويدعُ الإنسان حُرّاً يفعل ما يُريد، خيراً أو شراً. لكنّ الله ليس مسؤولاً عن الشر الذي يفعله الإنسان. على سبيل المثال، كان يهوذا تلميذاً للمسيح. هل يمكننا القول بأنّ إرادة الله كانت أن يصير يهوذا خائناً؟ لا، لأنّ يهوذا نفسه سمح للشيطان بالدخول فيه. طلب شخصٌ من أحد الكهنة قائلاً: «يا أبّ، صلّ صلاة التريصاجيون من أجل يهوذا!». لكن هذا أشبه بقوله، «أنت ظالم أيها المسيح، لأنّ إرادتك كانت بأن يخنوك يهوذا. فساعد الان».

هناك حالات قليلة جداً يسمح فيها الله بأن يُجرب بعض الأشخاص الورعين، حتى يعود من يحيا حياة خاطئة إلى رَشده، ويتوب عندما يشاهد معاناتهم. سينال هؤلاء الناس أجراً مضاعفاً. بكلماتٍ أخرى، يسمح الله للبعض، الذين يتذمرون دائماً، وهم يدفعون دَيْنَ خطاياهم في هذه الحياة من خلال الضيقات أو الشدائد التي يُقاسونها، بأن يتنفعوا من صبر الناس الذين يتألمون فعلاً، دون تذمّر ودون أن يكون لديهم خطايا ليُكفروا عنها. لنفترض أنّ رجلاً تقيّاً صالحاً كان في البيت مع عائلته، وفجأةً حدثت هزّة أرضيّة، فتهدّم المنزل على العائلة ومات الجميع. لماذا

سرجيوس بولس

اسم لاتيني، وكان سرجيوس بولس والياً على جزيرة قبرس عندما زارها الرسول بولس ومعه برنابا (حوالي ٤٧ أو ٤٨ م) في رحلته التبشيرية الأولى (أع ١٣: ٤-١٢). وتظهر دقة البشير لوقا في خلع لقب «والٍ» على سرجيوس بولس، إذ أن هذه كانت رتبته الرسمية، فقد كانت قبرس قبلاً من أملاك الإمبراطور، ولكن أوغسطس قيصر نقل ملكيتها إلى مجلس الشيوخ في ٢٢ ق.م. فأصبحت ولاية يحكمها ولاة، كما تؤيد ذلك النقود القبرسية التي ترجع إلى ذلك العهد.

وعندما وصل بولس وبرنابا إلى بافوس استدعاها والي سرجيوس بولس - الذي يوصف بأنه "رجل



الرسول بولس

فهم" أي رجل حكيم - والتمس أن يسمع منهما كلمة الله (أع ١٣: ٧). ولكن باريشوع أو «عليم الساحر»، خشي من تأثير الرسولين عليه، فحاول أن يفسد والي عن الايمان"، ولكنه ضرب بالعمى (أع ١٣: ٨-١١). وعندما رأى والي ما جرى «أَمَنْ مُنْذِهِشًا مِنْ تَعْلِيمِ الرَّبِّ». (عد ١٢). وهذا يدل على أنه لم يتأثر بالمعجزة فحسب، بل بكلمة الله، التي التمس من البداية، أن يسمعها.

وقد زعم البعض أن الرسول بولس أطلق على نفسه أسم «بولس» إعجاباً بسرجيوس بولس، حيث أنه لم يذكر باسم «بولس» إلا في العدد التاسع من هذا الأصحاح. ولكن الأرجح أن الرسول بولس كان يُدعى «بولس» من قبل، وجاء التطابق بين الاسمين مصادفة.



مبروك أيّتها العروس

رسالة القديس غريغوريوس اللاهوتي
للعرّوس أولمبياس بمناسبة حفل عرسها

ما أجمل هدية أقدمها في هذا اليوم المشهود، لأنه لا شيء على الإطلاق أفضل وأخلص من نصيحة أبوية.

يا أبنتي ليس بعظمة الجهاز ولا بالجواهر الغالية، ولا بجمال الشعر المصفّف، تكون زينة المرأة العاقلة الحكيمة. دعي عنك هذه الأباطيل، وهذه الرغبة الحمقاء في أن تحوزي إعجاب أولئك الذين لا يعرفون **قداسة الحياة**. أحبي الحشمة والعفة والطهارة وأحفظي نفسك بقداسة. فهكذا يكون جمال النفس، فليس شيء في الكون أجمل من سيّدة تعيش بأحتشام.

أول شيء، أحبي الله، ومن ثمار هذه المحبة الإلهية يكون تكرمك لزوجك، لأنه هو عين حياتك، **والوحيد في العالم الذي يجب أن يكون محبوباً منك**. زبديه حبّاً لأن نفسه الأمانة لا تحترق إلّا من أجلك. ولكن أحرصى ألا تظّهري أمامه بكبرياء، بينما يلي هو كل رغباتك. يمكن أن تملّ النفس من كل شيء، ولكن بروح محبة تنطفئ النيران سريعاً.

في تكرمك لزوجك، أحرصى ألا تنباهي سواء بمكانتك أو مركزك. فلا تفتخري بكبرياء بأنك من نسل ودم عريق، بل أهربي من الغرور والزهو، وليكن لك لسان فطن حاذق، فمعرفة كيفية السير في ظروف الزواج المقدس هي اعظم معرفة. فبين الزوجين يكون كل شيء مشتركاً، الأفرح والأحزان. إخضعي لزوجك وإذا كان متضايقاً غاضباً ساعديه وكوني له مُعينة في كل أعماله، وبكلام لطيف بشوش، وبنصيحة وافية عزّيه في متاعبه وآلامه. فعندما يزجر الأسد نتوقع الآلاف من الضحايا، والذي يُروضه ويُطعمه يستطيع أن يهدئه بمهارة وحذق وليس بالقوة. لا تُلومي أبداً زوجك على أي خسارة تحدث بالمنزل. فإذا كانت الأشياء ثمينة وغالية عليك، فهي أغلى عليه. **تجنّبي المشاحنات ولا تؤنّبيه البتة على أي شيء، ولو أخطأ، فلا يلذهه لسانك بأي كلام جارح.** وقدمي التقدير لأولئك الذين يحبهم.

البساطة في كل شيء محبوبة ومرغوبة فيها، فكم بالحرّي تكون محبوبة في الجنس اللطيف. تحلّي بالبساطة فهي سمة نفسك المحبوبة، وليكتشف زوجك ذلك فيك. شاركه في الفرح والحزن، في المرض وفي الصحة، لأنه بهذا يتحقق السلام الذي يُضفي غنى وعظمة على المنزل العريق.

أخبريه باشتياقاتك، لكن ليكن له في كل مرة الكلمة الأولى، وليكن دائماً هو الغالب. إذا كان حزيناً، ليظهر على وجهك مشاركته، لتكوني رفيقة له في آلامه. فهو سيتعزى عندما يرى أنك تشاركينه بآلمه، فتحدثي معه بوجه بشوش حتى يتعافى من حزنه. في الضيق تكون المرأة الحكيمة ملاذاً وديعاً هادئاً لزوجها.

لتنشغل نفسك بالعمل اليدوي، وليكن اهتمامك **بالكتب المقدسة، كلام مخلص البشر**. وليهتم زوجك في الخارج بأعماله بكل عناية ودقة، ولتهتم الزوجة بكل عناية بأعمالها المنزلية اليومية.

تجنّبي الملاهي العامة والاجتماعات الصاخبة، التي يُسرّع إليها المئات، والتي يتعكر بها المتضع العفيف من النظرات الشريرة، فقد تصيبه العيون بنظرة أو شهوة رديئة، فيُعاني ويتألم منها أو يُعجب بها، فدائماً تحل الكارثة عندما يفقد الشخص عِفَّتَهُ.

لتكن زيارتك للأماكن المقدسة في صُحبة النفوس الشريفة، وواظبي على حضور الصلوات، لتستطيعي الصمود بنفس مستعدة أمام فخاخ الشرير.

ليكن بيتك الغالي هو مدينتك ومكان نزهتك. إحرصى على هذا الهدف النافع في ألا يراك أحدٌ باستثناء الأقارب الشرفاء، والشيخ والعجائز، فأحاديثهم وأقوالهم أفضل من أفكار الشباب الطائشة. لا تختلطي بالسيّدات ذوات النظرات الشريرة اللواتي يسود عقلمن

الشك والرياء، ويتَّسَمَّنَ بعدم الحكمة. إحرصى على استقبال الانسان ذا السيرة الفاضلة في بيتكما، إلّا في حالة أنّ قدومه لا يروق في عيني زوجك. فما المنفعة أو الشرف الذي ستجنيه منه حتى تفضليه على زوجك الذي تُشاركينه السعادة؟!

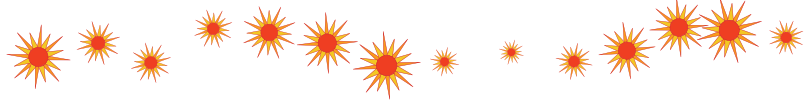
لا يكن لك نفسٌ متفاخرة بل قلب كريم سخي، قادرٌ أن يتخطى فخاخ شرور ورذائل هذا العالم الخادع والبحر الخطر، فتجني المغريات. إن أجمل وأعجب ما في حياة المرأة هو ان تكون حياتها مستترة عن الجميع. تجني الولايم والحفلات حيث لا يوجد سوى المزاح، ويحيا المرء في طياشة، لأن النفس الحكيمة تذوب كالشمع في الحرارة.

ليكن قلبك دائماً في سلام، فلا تغضي ولا يتعكر صفوك وهدوؤك. لتكن أذناك مصغيتين لكل ما هو حكيم، إغلقيهما عن الشرور. وعُضِّي الطُرفَ كأنك لا ترين شيئاً.

قللي أحاديثك لأن اللسان يسبب المتاعب، والصمت المناسب أفضل من كلمة مقولة في غير وقتها. سيري باتضاع، وليكن الآخرون في أشتياق لسماع حديثك. فالمرأة المتكبرة والطائشة لا تحيا بحكمة. اقتدي فقط بالحكيمة **ثيودوسيا** المثال الذي ليس له نظير.

يا أبنتي العزيزة، إتبعي مدبرتك ذات النصائح الأمانة، شقيقة العزيز **إمفيليكوس** ذي الفم البليغ الذي جذب إليه الكثير من السامعين. إصغي لعظاتي بقلب كله أجتهد، عندما أعظ في كنيسة مدينتكم. باتباعك يا أبنتي نصائحي تريحين زوجك الأمين لله ولك.

وأخيراً أطلب لك من العظمة الإلهية، وسيّد كلّ البشرية، أن يهبكما ثمراً مقدساً بالعديد من البنين الحكماء القديسين، يرمنون بأصوات شجية للملكوت العذب ولملك السموات، الذي خلقنا من العدم، وإليه تشاق كل نفس في كل جهات الأرض.



القديسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم الملكة الجالسة عن يمين الملك السماوي

الكنيسة تُنزهها عن الخطيئة وتُسمّيها "عروس الله" وتُركّز على أهميتها الأساسية في سرّ التجسد الإلهي، الذي تمّ بخضوعها لمشيئة الله التي عبّر عنها الرب ببشارة الملاك إذ قالت له: «هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». التجسد الإلهي اقتضى أن تقبل دعوة جبرائيل إليها، لتحمل في نفسها هذا السرّ العظيم ولتكون صورة عن الكنيسة العذراء كما رأى صاحب سفر الرؤيا (الإصحاح ١٢).

أجل يسوع الإنسان هو الوسيط الوحيد بين الله والناس. هذا بمعنى انه الوحيد الذي تمّم الخلاص. غير أن القديسين وعلى رأسهم سيدتنا العذراء، هم معه وحوله يُصلّون من أجلنا. فقد أعطاهم يسوع قوّة الشفاعة لخلاصنا بعد أن أثقلتنا الخطيئة.

مريم في الملكوت فوق كل محاكمة وكل إدانة، وجعلها ابناً إلى جانبه في الملكوت لتشفع من أجلنا، ويشاركها كل القديسين بهذا التشفع.

لذلك يرد ذكرها كثيراً جداً في كلّ الكتب الطقوسية، ولا تخلو خدمة إلهية واحدة من التكلّم عنها والتكلّم معها.

لذلك كانت لها أعياد كثيرة قمتها عيد الرقاد الآتي، حيث نعلن أنها مقبمة في المجد الإلهي، منتظرة أن ننال نحن القيامة في اليوم الأخير ونرى مجدها إلى جانب مجد يسوع.

✠ جاورجيوس مطران جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان).

"صيام السيدة" ينتهي باعلان رقادها في ١٥ آب شرقي، الواقع في ٢٨ آب غربي. نقشفتنا هو لنستحق رعاية والدة الإله وانعطافها. وهذا الانعطاف أعلنه المخلص نفسه على الصليب، حيث كانت هي واقفة مع التلميذ الذي كان يسوع يحبه، فسمع هذا قول الرب عن مريم: «هذه أمّك». هذه الأمومة لم تنسكب فقط على هذا التلميذ ولكن على كل مؤمن يحبه المعلم.

شعورنا بوالدة الإله ليس تحرّكاً عاطفياً تجاهها وحسب، ولكنه إرادة المخلص أن نكون تجاهها، أن نكون أبناءً لها في حياتنا الروحانية. تكريماً مريم جاء أمراً من يسوع. هو الذي أعلن أمومتها بالنسبة إلينا.

يطرح المؤمنون سؤالاً حول ما جرى لها بعد موتها. الخدمة الإلهية تستعمل لفظة انتقال بمعنى إصعاد الله لجسدها إليه. السنة ١٩٥٠ قررت الكنيسة الغربية إعلان انتقال العذراء نفساً وجسداً عقيدة من عقائد الإيمان.

نحن تكلمنا طقوسياً عن الانتقال ولكن لم نصنع عقيدة، فهناك لاهوتيون يقولون به، وهناك من لا يقول بهذا. أيقونة الانتقال تصوّر العذراء راقدة ويسوع إلى جانبها حاملاً روحها بشكل طفلة مقمّطة بتياب بيضاء، للدلالة على أنها في السماء. كل شيء عندنا يدلّ على أنها في المجد كالشهداء، وأنها تتوسل من أجلنا بحيث دعوناها «أكرم من الشيروييم وأرفع مجدًا بغير قياس من السيرافيم».

الاعتقاد السائد في الكنيسة انها بلا عيب ولا فساد بمعنى أن

أنواع الأفكار الرديئة وعلاجها

للقديس باسيليوس الكبير
رئيس أساقفة كبادوكية

✦ الأفكار الرديئة التي تُعَوِّق الأفكار الجيدة:

(أ) الأفكار الرديئة تُحْدِر نفس الإنسان، وتبقيه طائشًا هنا وهناك، فيما لا ينبغي. وتفتش في الخيالات الخبيثة، أو الباطلة.

(ب) وإمّا عندما يُمَكِّر الشيطان، ويُلقِي في قلوبنا أفكار الأعمال الرديئة، ليجتذب نفوسنا من التفكير في الأعمال الكريمة (الصالحة).

أما أفكار النوع الأول:

✦ فلغفلة نفوسنا وكسلها، تنقطع منها الحرارة (الروحانية) والاحتباس، فتتحلّ وتُفَكِّر في أفكار باطلة. فيتنازل العقل ويطيش، فيما تفكّر فيه (النفس) وحينئذ ينتقل من ضلال إلى ضلال، ومن أباطل إلى شرور، ويسقط في أعمال رديئة.

✦ فينبغي أن نُنهض نفوسنا من هذا الانحطاط والتواني، نميّر قلبنا حتّى يعود إلينا، فنُقيمه حتّى يكون حارسًا متيقظًا، ناظرًا في أعمال الله الصالحة، التي أمامه.

أما أفكار النوع الثاني:

✦ فتأتي عندما يتبدى الشيطان بمكره، فيُلقي في نفوسنا أفكارًا شريرة كالسهام متوقّدة، ويُسكنها في النفس التي قبلها، حتّى يعسر خروجها.

✦ حينئذ ينبغي للإنسان أن يتيقّظ ويتأمل ذاته، ويتردّد هذه الحروب الشيطانية (الحروب الفكرية) الخبيثة، ويجاهد - كمجاهدٍ نجا من يد قاتله - وعاد بشجاعة يحارب عدوّه، ويحترس منه.

✦ ويُدرّب جسده على العودة (للتوبة) ثمّ يسلم الإنسان نفسه

للصلاة الدائمة، ويصرخ إلى الله طالبًا معونته، ليعطيه غلبةً في الحرب (الروحانية) التي ثارت عليه، وينزع منها سهام ابليس الخبيثة.

✦ وهو ما ذكره القديس بولس بقوله: «حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ ثُرْسَ الْإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تُقَدِّرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سَهَامِ الشَّرِّيرِ الْمُتْلِهَةِ». (أفسس ٦: ١٦).

✦ الأفكار في الصلاة:

✦ وحتى - يا أحبائي - لو ألقى علينا عدوّ الخير خيالاته وأفكاره الخبيثة في الصلاة أيضًا. فلا ندع نفوسنا تتحلّ من الصلاة (تتركها)

✦ ولا تدعها تفكّر أنّ تلك الأفكار، والخيالات الخبيثة نابعة من ذاتها. بل تعلّم أنّها من العدو، الذي هو مُعلّم كلّ شرّ، فعليها أن تضرم نفسها بالطلبات، كإنسانٍ يستغيث (إلى الله) ضد خصمه.

✦ وهكذا تطرح النفس ذاتها أمام الله (باتضاع وانسحاق) تسأله بلحاجة أن يُبعد عنها الجنود المحيطة بها، جنود ابليس الخبيث.

✦ فإذا سمّا عقلنا نحو الله، فليس شيء من أفكار العدو يستطيع أن يغلب صلاتنا أو يقاومها. «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرَبْ مِنْكُمْ». (رسالة يعقوب ٤: ٧).

✦ فإذا ثبت العدو في محاربتنا - وقت الصلاة - فلا ينبغي أن نقطع جهادنا (بل نستمرّ في التضرع والابتهاال) حتى ينظر الله إلى جهادنا. فيُشرق علينا بنعمة روح قدسه، ويتردّد عدونا، ويعطينا سببًا لهدوء أفكارنا، لنعبده بفرح دائم. رافعين المجد للأب والابن والروح القدس. آمين

ملحوظة: من الأمور التي تُبعد الطياشة في الصلاة: هي أن نُصَلِّي بعمق، بمحبة، باتضاع، بلحاجة، بتركيز، بانسحاق، علمًا أن ترديد الصلاة بصوتٍ خافت، ومناجاة يسوع المسيح المصلوب حيث أيقونته الكريمة أمامنا، طالبين منه وجهًا لوجه أن يحمل جراحاتنا. «هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ غُلُوٍّ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ» (٢ كو ١٠: ٥).

كذلك الابتعاد عن محبة القنية، والانشغال بالأرضيات التي تشغل القلب والفكر بأمور العالم الزائلة. «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكَيْ أُزِيحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي ٣: ٨).



الارتودكسية قانون إيمان لكل العصور

قاعدة
الإيمان



الرسول
الأطهار

في الإياب. سوف نعود وعمرنا زاد عشر سنوات عند عودة مركبة الفضاء، ولكن في الواقع، فإن هذا الزمن سوف يكون عشرة أيام فقط! لماذا؟ لأن المركبة عندما تتخطى حاجز الضوء، فإنها تبلغ النقطة التي يتوقف عندها الزمن. الزمن في الفضاء يختلف تمامًا عن هذا الموجود على الأرض. إنه عالم مختلف تمامًا. هذا ما يعنيه بالضبط العهد الجديد عندما يقول إن يسوع: «ارتفع» أي أنه دخل إلى مجال جديد للحياة مختلف تمامًا عن هذا الذي في الأرض.

وأخذته سحابة عن أعينهم:

السحابة في الكتاب المقدس هي علامة على الحضرة الإلهية.. كانت هي التي أحاطت بجبل سيناء عندما أعطى الله الوصايا العشر وعند التجلي: «سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ» (مت ١٧: ٥). ومن المحتمل أن صوت الله الذي سُمِعَ أثناء عماد المسيح كان من داخل السحابة. يقول: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ» (مت ١٧: ٣). لذلك عندما نقرأ في سفر الأعمال: «وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ» (أع ١: ٩)، فهذا يعني أن يسوع دخل الحضرة الإلهية عندها.

بعد أربعين يومًا:

يقول العهد الجديد إن صعود يسوع حدث بعد أربعين يومًا من القيامة. وبحسب لغة الإنجيل فإن أربعين يومًا هو تعبير لا يؤخذ بالمعنى الحرفي باستمرار، فقد يكون هناك حدث ضخم هام ولكن في زمن محدد. وأيًا كان هذا، إلا أن الكتاب المقدس يخبرنا أن يسوع ظهر لتلاميذه على مدى أربعين يومًا بعد قيامته. يوجد سببان لظهورات الرب لهم هذه المدة:

أولاً: ليتيقنوا فوق كل شك بحقيقة قيامته من الأموات. لو كان ظهر مرة واحدة، قد يقول الناس في الأجيال اللاحقة إن ظهورًا واحدًا للقيامة هو خرافة من تخيل شخص ما، ولكن ظهوره عدة مرات، وفي ظروف وأوقات وأحوال وأماكن مختلفة، فهذا يجعل حقيقة قيامته فوق كل شك.

ثانيًا: كان لأجل التعليم. ولكن لماذا كان على التلاميذ أن يزدادوا فهمًا أكثر ومعرفة عن يسوع بعد قيامته أكثر من ذي قبل؟ طبعًا نحن لا نشك أن هذا حدث من خلال الروح القدس الذي حلّ عليهم

وصعد إلى السموات

أربعة أحداث هي من أعظم العجائب في المسيحية: تجسد ابن الله وصيرورته ابنًا للإنسان، القيامة، الصعود إلى السماء، ومجيئة الثاني ليدين المسكونة. كان يومًا عظيمًا لكوكبنا عندما ظهر ابن الله عليه في مثل جسدنا، وكان يومًا هامًا جدًا عندما قام من القبر، وكان يومًا مهيبًا للكنيسة عندما أخذته سحابة على مرأى من الرجال واختفى عن الأرض، ولكن يظل هناك يوم أعظم للعالم، وهو عندما يعود المسيح الذي صعد مرة أخرى في الجسد.

لنتنا نركز تأملنا في معجزة الصعود، ما هي وماذا تعني؟

وكما أتى الرب يسوع إلى العالم بطريقة تفوق الطبيعة، هكذا غادره. إن أفضل ما يمكننا أن نعرفه عن وصف الصعود هو مستمد من سفر الأعمال:

«وَلَمَّا قَالَ هَذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ. وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلَانِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسِ أَيْصَصٍ وَقَالَا: "أَيُّهَا الرَّجُلُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ أَقْفَيْنَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ٩-١١).

ارتفع (أناليسي) Anáληψη:

إن كلمة: «ارتفع» لا تعني مجرد أن يسوع صعد عدة أقدام فوق سطح البحر، ولكنها تعني أيضًا أنه من خلال صعوده فإنه دخل في وجود أعلى، ارتقى إلى مجد، سما سموا، إلى عالم حياة آخر مختلف، السماء.

من المُشَوِّق أن تلاحظ أن الشخص عندما يصعد في الفضاء الخارجي، فإنه يدخل إلى عالم مختلف عن هذا الذي نعرفه هنا على الأرض. وعلى سبيل المثال، فإن العلماء يخبروننا أنه مع نهاية هذا القرن الـ ٢١، سوف نستطيع أن نتخطى حاجز الضوء تمامًا، مثلما أمكن تخطى حاجز الصوت. وبكلمات أخرى، فإن الإنسان سوف يستطيع السفر بسرعة الضوء، ما يقارب ٣٠٠ ألف كم في الثانية، ولكي نصل إلى أقرب نجم بهذه السرعة المذهلة، فإننا سوف نحتاج إلى عشر سنوات، منها خمس سنوات في الذهاب، وخمس سنوات

يوم الخمسين، ولكن أيضًا من خلال تعليم يسوع فترة الأربعين يومًا: «الَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيًّا بِرَاهِينَ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ.» (أع ١: ٣). وفي واحدٍ من الأناجيل نقرأ أنَّ يسوع خلال هذه الأربعين يومًا: «إِثْنَدًا مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ.» (لو ٢٤: ٢٧). ثم تبع هذه الظهورات المتوالية بعد قيامته وتعاليمه أنَّ يسوع: «وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجًا إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ.» (لوقا ٢٤: ٥٠-٥١).

لماذا انطلق؟

لماذا تركهم يسوع ومضى في وقتٍ كان يمكنه أن يعمل كثيرًا على الأرض؟ الإجابة التي أعطاها يسوع نفسه: «لِكَيْ أَقُولَ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقَ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعَزِّي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ.» (يو ١٦: ٧). يخبرنا يسوع هنا أنَّ هيئته البشرية سوف يحل مكانها حضور **المُعَزِّي، المُعِين، الروح القدس**. إنه سوف يأتي بنا إلى اتصال أكثر مع يسوع، وبدرجة أكبر مما هي موجودة لو كان يسوع قد استمر معنا بهيئة بشرية. لو بقي يسوع معنا على الأرض لن يكون لنا لقاء معه أكثر من لمسة اليد أو سماع الأذن أو هزة فرح الاحتضان، الأمور التي هي أقلَّ جدًّا من درجة المودة والصداقة التي يريدها الله مع أرواحنا، أو التي تريدها أرواحنا في علاقتها مع الله. ولكن إن صعد إلى السماء، فسوف يستطيع أن يأتي ويسكن في كلِّ واحد منّا بملئه، حتى يصير فكرنا فكره وحياتنا حياته. وعلى سبيل المثال، أليس الروح القدس هو الذي يؤثّر في الأسرار ويحوّل الخبز والخمر في القدّاس الإلهي، وهكذا يُحضر إلينا المسيح في سرّ الشركة؟ وبنوالنا المسيح في هذا السرّ، فإنه يأتي ليملأ حياتنا بحضوره. وهكذا إذ يصير المسيح فينا كلنا، فإنه يُعطينا التزامًا خاصًا جدًّا لئتمجّده اليوم في العالم بحياتنا، وأن نكون مُسحاء

منظورين نحيا ونعمل كأدوات في يديه ووكلاء له، سُفراء عنه، شعبًا خاصًا شاهدًا له.

وعلى ضوء ذلك، فإننا لن نجد أنَّ يومي **الصعود والخمسين** هما يومان مُقدَّسان مُنفصلان، ولكن الصعود يكون مُقدِّمة لحلول الروح القدس. يمضي يسوع ليُرسل لنا الروح القدس. يمضي ليغيّر الشكل الذي سيعمل به بيننا. والآن سوف يعمل من خلالنا، نحن الممتلئين بالروح، الممتلئين بالمسيح، نحن أعضاء جسده، الكنيسة.

البشرية تصعد مع المسيح:

نزل المسيح من السماء كابن الله الأزلي، ولكن عندما عاد إلى كرسي المجد والكرامة عن يمين الآب، فإنه أخذَ معه طبيعتنا البشرية. عاد الإله المتجسّد إلى أبيه. إنَّها طبيعتنا في كلِّ شيء - ما عدا الخطيئة - هي التي جلّست عن يمين الله. نزل ابن الله ليكون واحدًا منّا، وصعد ليُمكننا من الصعود معه. من خلال الصعود وتمجيد المسيح وجلسه على العرش، مُجدت كلَّ الطبيعة البشرية وجلّست عن يمين الآب. وبما أنَّ بشرية المسيح ارتفعت إلى الأماكن السماوية، فإنَّ بشرتنا سوف ترتفع هكذا أيضًا. إنَّ صعودنا هو برهان على أنَّ الإنسان جُعل **للسماء** وليس للقبر، **للمجد** وليس للفساد.

في يسوع الصاعد نبلغ مقصدنا، النصيب الحقيقي للإنسان. ومع أنَّه بسبب ضعفنا الحاضر، ووهننا وجهلنا وآلامنا، قد يبدو أنَّه نصيب بعيد المنال جدًّا عنّا، إلّا أنَّ نفس القوّة التي رفعت يسوع ومجّده سوف ترفعنا نحن أيضًا.

الآن علمنا أنَّه توجد طبيعة بشرية مثلنا تمامًا، لذلك فهي تمثّلنا تمامًا، اخترقت الحاجز الأخير وعبرت العتبة الأخيرة التي تفصل البشري عن الإلهي. ولأننا واحدٌ معه وفيه، فإنَّ انجازاته إنّما هي لنا. لذلك لا يتردّد أبدًا القديس بولس في أن يصف المسيحيين بأنَّ الله قد: «أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢: ٦).

ساموس:

اسم يوناني معناه «مرتفع أو جبل»، وذلك لوجود جبل «كركي» الذي يبلغ ارتفاعه نحو ٤,٧٠٠ قدم. وساموس جزيرة من أشهر جزر بحر إيجه، على بعد نحو ميل من شاطئ ليديّة في آسيا الصغرى، إلى الجنوب الغربي من أفسس والشمال الغربي من ميليتس. وكانت مدينتها «ساموس» تشتهر بصناعة الفخار والنبيد وزراعة الزيتون، إذ كانت تقع في وسط سهل خصيب، وكذلك بالأخشاب لبناء السفن. وقد ازدهرت الجزيرة في العهود القديمة وبخاصة في القرن السادس قبل الميلاد في عهد طاغيتها بوليكرتس (٥٣٣-٥٢٢ ق.م. - Polycrates) حيث كانت متحالفة مع أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم وقعت

في يد الفرس ثم في يد المصريين، وبعد ذلك خضعت لمملكة برغامس في ١٣٣ ق.م. وأصبحت في ٨٤ ق.م. جزءًا من ولاية آسيا الرومانية. وفي القرن الأول الميلادي أصبحت تتمتع بالحكم الذاتي. وقد زار الجزيرة مرقس أغريباس وهيرودس.

ويفصل الجزيرة عن تنوء ترجليون مضيق يبلغ عرضه نحو الميل. ويبدو أن سفينة الرسول بولس رست في هذا المضيق، وهو في طريق عودته من رحلته الثالثة (أع ٢٠: ١٥). ولا يذكر ما إذا كان الرسول بولس قد كرز بالإنجيل في الجزيرة في خلال إقامته القصيرة بها، ولكننا نعلم أنه كان فيها جالية يهودية منذ سنين عديدة، حيث كانت أحد الأماكن التي بعث إليها لوكيوس وزير الرومانيين، برسائل توصية باليهود (أف ١٥: ٢٣).

المصطاة التعماني عشرة لطالبي الصفا

«وب»، من الذي آمن بكلامنا؟ ولما ظهرت يد الرب؟
... كنيسة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزه
هكذا فصح فاه. في ذلك أنكر عليه حقه. ثرى من يصف ذريته؟
لأن حياته أزيلت عن الأرض...» (اشعيا ٥٣: ١-٨).

لاينا القديس كيرلس رئيس أساقفة اورشليم
العظة الثالثة عشر في العمد
«... وَصَلِبَ وَقَبِرَ»



١٠ - الثلاثون قطعة من الفضة

واسمع كذلك ما يخص الثلاثين من الفضة: «وقلت لهم: إن حُسِنَ في عيونكم، فهاتوا أجرة، وإلا فامتنعوا...» (زكريا ١١: ١٢). إن الثمن الذي يستحق عليكم مقابل شفاء العمي والعرج يختلف عما تلقينه منكم. فبدلاً من الشكر كان نصيب العار، وبدلاً من العبادة نلت الإهانة. فانظر كيف تنبأ الكتاب المقدس عن هذه الأمور كلها: «وزنوا أجرة ثلاثين من الفضة» (زكريا ١١: ١٢). يا لدقة النبوة! يا لمعرفة الروح القدس التي لا تخطيء! لأنه لم يُقَلَّ عشرة أو عشرين بل ثلاثين، بالضبط كما حدث. قُلْ لنا، أيها النبي، إلى أين ذهب هذا الثمن؟ هل احتفظ به ذاك الذي تسلمه أم أعاده؟ وأين وقع عندما أُعيد؟ وعلى ذلك يرد النبي: «فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها في بيت الرب إلى الأتون» (زكريا ١١: ١٣). قارن بهذه النبوة قول الإنجيل: «حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قُضي عليه، تندم فطرح الفضة في الهيكل ومضى» (متى ٢٧: ٣-٥).

١١ - حقل الفخار

ولكن يلوح لي أن هناك غموضاً يجب تبديده، ذلك أن الذين يرفضون النبوات يقولون إن النبي يؤكّد: «ألقيتها في بيت الرب إلى الأتون» (زكريا ١١: ١٣)؛ بينما يقول الإنجيل: «دفعوها عن حقل الفخار» (متى ٢٧: ٣٠). فاسمع كيف أن الاثنين هما على حق: في الواقع أن شيوخ اليهود وهم رؤساء الكهنة، عندما رأوا يهوذا يقول نادماً: «إني قد خطيت إذ أسلمت دمًا زكياً»، قالوا له: «ماذا علينا، أنت أبصر؟» (متى ٢٧: ٤-٥). ألا يهكم هذا، أنتم الذين صلبوه؟ على الذي تلقى ثمن الجريمة وباعه أن يُبصر، وأنتم القتل، هذا لا يهكم؟ ثم قالوا فيما بينهم: «لا يحل لنا أن نجعله في بيت التقديم لأنه

ثمن دم» (متى ٢٧: ٦). فمن فمك أدينك: إذا كان الثمن ملوثاً، فإن عملك نجس أيضاً. ولكن إذا كنت بصلب المسيح عادلاً، فلماذا لا تتسلم الثمن؟ ولكن يجب أن نعرف كيف لا يوجد هناك اختلاف بين ما يقوله الإنجيل «حقل الفخار» وبين ما يقوله النبي «الأتون». ذلك أنه ليس الذين يعالجون الذهب والبرونز هم الذين لديهم أتون، بل الفخارون، كذلك لمعالجة تراب الفخار، إذ هم، بعد تنقية التراب الصلصالي الصالح للاستعمال، من الحصى، وإزالة المواد الغريبة منه، يخلطونه بالماء ليصنعوا الأواني بسهولة. فما وجه الغرابة إذا كان الإنجيل يتحدث بوضوح عن حقل الفخار، وينطق النبي بنبوءته بشكل غامض، عندما تكون النبوة خفية في غالب الأحيان؟

١٢ - المسيح يُربط ويُساق للمحاكمة

قبضوا على يسوع وقادوه إلى بيت رئيس الكهنة (لو ٢٢: ٥٤). هل تريد أن ترى وتعرف إن هذا أيضاً مكتوب؟ يقو أشعيا: «ويلٌ لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً، قائلين: لنُفَقِدَ البَّارَ لأنه مغلق لنا» (أشعيا ٣: ٩-١٠). نعم ويلٌ لنفوسهم، وهذا ما نراه. لقد نُشِرَ أشعيا، وبعد ذلك شُفِيَ الشعب. وألقيَ أرميا في جب من طين، والتأم جرح اليهود وكان طفيفاً، لأنهم اخطأوا بحق إنسان. ولكن لأنهم لم يخطئوا إلى إنسان، بل إلى إله متأنس، فالويلٌ لأنفسهم «سنُقِذَ البار»... ولكن قد يقول قائل: هل يستطيع أن يفك وثاقه، ذاك الذي فك لعازر من أربطة الموت، وكان قد مات منذ أربعة أيام؟ (يو ١١: ٣٩-٤٤). وحرّر بطرس من غلائل السجن الحديدية (أع ١٢: ٧)، وكان الملائكة يقولون، وهم على أتم الاستعداد: «لنقطع ربطهم» (مز ٣: ٣)؛ ولكنهم امتنعوا، لأن الرب كان يريد أن يتألم. ثم اقتيد إلى محفل الشيوخ (متى ٢٧: ٥٩). وإليك هنا شهادة النبي: «الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم» (أشعيا ٤: ١٤).

الكنز والسياح

كَانَ فِي غَابِرِ الزَّمَانِ ثَلَاثَةُ سَائِرِينَ فَوَجَدُوا كَنْزًا فَقَالُوا: قَدْ جُعْنَا فَلْيَمِضْ وَاحِدٌ مِنَّا وَلْيَبْتَغِ لَنَا طَعَامًا. فَمَضَى لِيَأْتِيَهُمْ بِطَعَامٍ فَقَالَ: الصَّوَابُ أَنْ أَجْعَلَ لَهُمَا فِي الطَّعَامِ سَمًّا قَاتِلًا لِيَأْكُلَاهُ فَيَمُوتَا وَأَنْفَرِدَ أَنَا بِالْكَنْزِ

دُونَهُمَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ وَسَمَّ الطَّعَامَ. وَاتَّفَقَ الرَّجُلَانِ الْآخَرَانِ أَنَّهُمَا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِالطَّعَامِ قَتَلَاهُ وَأَنْفَرَدَا بِالْكَنْزِ دُونَهُ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِالطَّعَامِ الْمَسْمُومِ قَتَلَاهُ وَأَكَلَا مِنَ الطَّعَامِ فَمَاتَا. فَأَجْتَازَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَذِهِ الدُّنْيَا. فَانْظُرُوا كَيْفَ قَتَلْت هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ. وَيَلُ لَطَلَابِ الدُّنْيَا مِنَ الدِّيَانِ.

العهد القديم في الكتاب المقدس (٩١)

عزرا القائد والكاهن:

(نح:٢:١٧). وارتفعت صلاته قوّة مستجابة، ويسجّل السفر بناء الأبواب (نح:٣) وقد بدأ البناء بباب الضأن الذي تدخل منه الذبائح، وهو الباب الذي خرج منه السيّد المسيح في الليلة الوداعية إلى بستان جثشيماني، ويسمى باب استفانوس، وباب السمك نسبة إلى تجار السمك هناك. والباب العتيق وهو الذي ذكره إرميا النبي (أر:٣١:٣٨)، وباب الوادي وهو مقابل وادي هنوم، وباب الدمن أي باب التطهير، وباب العين وهو قرب بركة سلوام، وباب الماء، وباب الخيل الذي يدخل منه الملوك، وباب الشرق وهو باب الجميل هو المدخل الرئيس من جبل الزيتون، وباب العد أي باب الحصر، وهناك بابان آخران لم يُذكرَا لأنهما لا يحتاجان إلى ترميم وهما باب أفرام، وباب السجن (نح:١٢:٣٩). وبذلك تكمل أبواب أورشليم الإثنا عشر، وهي التي أُشير إليها في سفر الرؤيا (رؤ:١٢:٢١).

حينما شرع نحميا في بناء أسوار أورشليم تحرّش به ثلاثة من جيرانه، يناصبونه العداء محاولين منعه بالقوّة وهم سنبط الحوروني وينتسب إلى بيت حورون القريبة من أورشليم، وطوبيا العبد العموني، وجشم العربي. وقد برزت محالبتهم لافتراس اليهود الراجعين من الجلاء، ويبدو أن هذه البلدان قد حظيت ببعض القوّة، لأنه في القرن التالي شهدت هذه البلدان شيئاً من الازدهار، واشتدّ عودها بسبب التغيرات الجوهريّة التي حدثت في المنطقة والانفتاح التجاري؛ فطوبيا العموني قد انتهاز فرصة حُكم فارس اللين الرحيم، وبدأ يثير الإضطرابات وبدأ يظهر عداءهم لليهود، وفي عبر الأردن استولت قبيلة طوبيا العموني على بلادهم وحكموا ولاية عمون تحت وصاية فارس، أمّا العرب فقد ازدادت قوّتهم بعد أن قَضَت آشور على قوّة أودوم وموآب ومهدّت لهم أن يحكموا أرضاً متّسعة، فحكّم العرب البدو إقليماً من جنوب سوريا إلى أودوم - (السامريون بنو هيكمل جرزيم عام ٤٠٠ ق.م.).

وبدأت مناورات الحكّام الثلاثة طوبيا وسنبط وجشم محاولين إضعاف نفوس الشعب وإسقاط همّة نحميا، لكن القائد العظيم استطاع أن يتمم بناء الأسوار في اثنين وخمسين يوماً، فكان الرجال يعملون بيد ويحملون السلاح باليد الأخرى، ويعود نحميا إلى القصر الفارسي في صوصة بعد أن حكم على اليهود في أورشليم إثني عشر عاماً، لكنه يرجع إلى أورشليم مرّة أخرى ليحكم فترة ثانية، وقد حقّق نحميا إصلاحاً دينياً واقتصادياً، وثبّت الأمن والاستقرار، وبقي عزرا الكاهن يقود إصلاحاً روحانياً للشعب، وقد ذهب نحميا إلى فارس ثم عاد إلى أورشليم حاملاً تبرّعات يهود بابل، وقد اكتشفت الشريعة في أيامه وقرأها على الشعب.

بعد حوالي ثماني سنوات من عودة زربابل وقد سمح أرتحششتا لونيجمانوس لعزرا بالعودة، وقد قاد عزرا الكاهن وكتب الشريعة مجموعة جديدة تضمّ سبعة عشر ألفاً من الرجال للعودة بهم إلى أورشليم، وقام عزرا بالإصلاحات الدينيّة الشاملة وسط الشعب، بجانب نهضة البناء، فاهتم بالبحث عن الشريعة وتلقينها للشعب، فقد لازم اليهود الراجعين ما تطبعوا به من حياة وعبادة، وكانت شائعة في أرض سبيهم، وجلبوها معهم إلى أورشليم، فطَهَّر عزرا الشعب من الزنجيات الوثنيّة ليصير شعباً مُكرّساً وزرعاً مقدّساً لله، فكان قائداً ناجحاً ونبياً غيوراً قدّم مثلاً للشعب في التذلل أمام الله بصوم وصلوات حارّة، وكتب سفرًا أو مَعْظَمَةً، سجّل فيه أحداث تلك الفترة، وكان من أهم سمات عصر عزرا الإصلاحية هو ظهور طبقة النساخ الذين يهتمون بنسخ الشريعة وتلقينها للشعب.

الإصلاحات بواسطة نحميا:

في الإصحاحين السابع والثامن من سفر عزرا، هناك تسجيلٌ لتواريخ وأنساب، ولا نلاحظ ذكرًا لزربابل مما يوحي أنه قد مات، فقد مرّت سبعون سنة منذ العودة الأولى، وبغياب زربابل عن مسرح الأحداث، انتهى الأمل في إعادة النسل الملكي، أي نسل يهوذا على العرش (تخبرنا سجّلات الرّايين اليهود والتي استقى منها القديس متى سلسلة أنساب السيّد المسيح، أن زربابل ولدَ أبيهود) (مت:١٣:١). وَضَعَفَ حماس اليهود وفَتَرَت نفوسهم، فَحَثَّ النَّبِيُّ ملاخي الشعب على الوفاء بالعهد المقدّس، وملاخي النبي هو آخر أنبياء العهد القديم، وقد ختم أسفار العهد القديم بنبوءة تفتح باب الرجاء وانتظار إيليا الذي يأتي سابقاً للمسيح، ليصبح تحقيق النبوءة هو بداية العهد الجديد. (ملا ٤:٥-٦ ، مت:٣).

وفي ظلّ الحياة القاسية في أرض يهوذا بسبب شظف المعيشة ، وضعف القوّة السياسيّة المحليّة، صارت الجماعة في ضيقٍ شديد ، وبدأت ظواهر التفكّك في الشعب وطارت الأخبار السيئة إلى فارس ، ووصلت نحميا وكان ساقياً ومقدّم الكأس للملك بالقصر في شوشن، (صوصة) وكان ذا حظوة عند الملك أرتحششتا لونيجمانوس، فسمح له أن يقود جماعة من اليهود، وسمح له بالعودة إلى أورشليم وأن يصير والياً على يهوذا، وسمح له أن يبني الأسوار، فأسرّع القائد العظيم بالعودة سنة ٤٤٦ ق.م. وخرج في هدوء الليل يطوف حول المدينة ويتجوّل بين أنقاضها ينظر أبوابها المحروقة بالنار، فظهر كرجل إيمان مقتدر أشعل الحماس في نفوس الشعب لبناء الأسوار